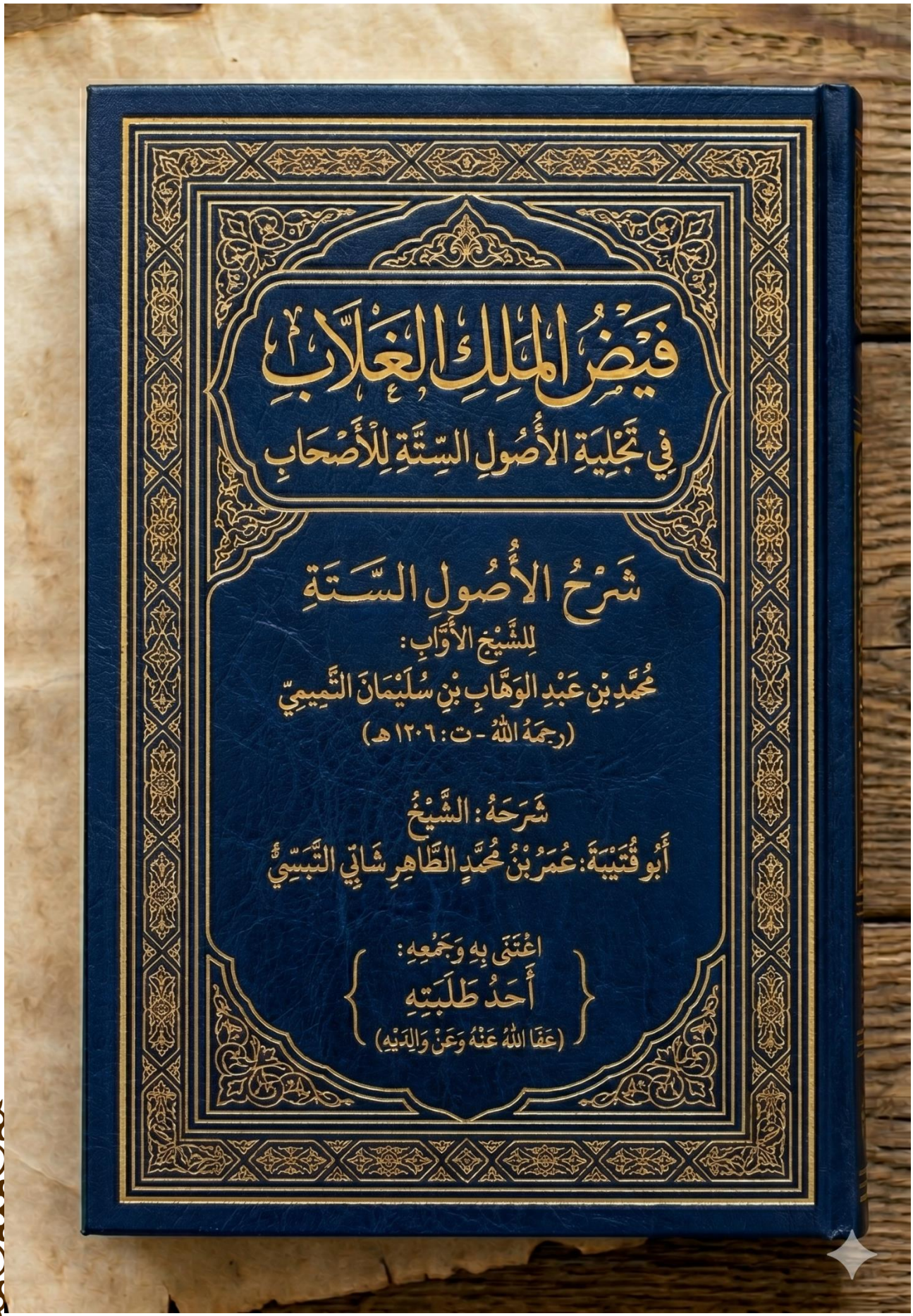
فَيْضُ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ
فِي تَجْلِيَةِ الأُصُولِ السِّتَّةِ لِلأَصْحَابِ
شَرْحُ الأُصُولِ السِّتَّةِ
لِلشَّيْخِ الأَوَّابِ:
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيّ
(رَحِمَهُ اللهُ - ت: ١٢٠٦ هـ)
شَرَحَهُ: الشَّيْخُ
أَبُو قُتَيْبَةَ: عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِّي التَّبَسِّيُّ
اعْتَنَى بِهِ وَجَمَعَهِ:
أَحَدُ طَلَبَتِهِ
(عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ)

1. مُقَدِّمَةُ الأَخِ الْمُعْتَنِي بِالرِسَالَةِ:

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ التَّوْحِيدَ لِقُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ صِقَالاً، وَلِأَدْوَاءِ شُكُوكِهِمْ شِفَاءً وَزَوَالاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ شَهَادَةً نَسْتَجْلِبُ بِهَا مَنَازِلَ السُّعَدَاءِ، وَنَعْتَصِمُ بِهَا مِنْ مَزَالِقِ الْأَشْقِيَاءِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ مَنَاراً، وَجَعَلَ لِلْمُهْتَدِينَ بِسُنَّتِهِ نُوراً وَأَنْهَاراً، فَالْمَعْلُومُ أَنَّ أَعْظَمَ النِّعَمِ مَوْرِداً، وَأَجَلَّ الْمِنَنِ مَحْتِداً[1]؛ أَنْ يَقْذِفَ اللهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ نُورَ الْبَصِيرَةِ، فَيُدْرِكَ بِهَا حَقَائِقَ الْأُصُولِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ النَّجَاةِ فِي الدَارَيْنِ . وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَقْرَعُ سَمْعَ اللَّبِيبِ، أَنْ تَرَى أُصُولاً قَدْ ضَرَبَ اللهُ لَهَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ أَمْثَالًا، وَبَيَّنَهَا لِلْعَالِمِ وَالْعَامِّيِّ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا، ثُمَّ تَرَى بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقاً كَثِيرًا مِنَ الْأَذْكِيَاءِ الأَلِبَاءِ عَنْ ادْرَاكِ مَعَانِيهَا غَافِلِينَ، وَعَنْ صِرَاطِهَا نَّاكِبِينَ!

[1] معنى كلمة (مَحْتِداً) في هذا السياق (وَأَجَلَّ الْمِنَنِ مَحْتِداً) هُوَ: الأَصْل، والنَّسَب، والْمَنْشَأ. والْمَحْتِدُ في اللغة هو أَصْلُ الشَّيْءِ وطَبْعُه الذي جُبِلَ عليه.

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ لَطِيفَةُ الْحَجْمِ، عَظِيمَةُ الْغُنْمِ، قَلِيلَةُ الْعِبَارَةِ غَنِيَّةُ الإِشَارَةِ ، تَرْسُمُ لِلْمُسْتَرْشِدِ مَعَالِمَ **"الأُصُولِ السِّتَّةِ "**الَّتِي جَدَّدَ بِهَا شَيْخُ الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا انْدَرَسَ مِنْ آثَارِ الْمِلَّةِ فِي بَابِهَا ؛ وَقَدْ تَفَضَّلَ بِبَيَانِ مَكْنُونِهَا، وَكَشْفِ مَسْتُورِهَا، **الشَّيْخُ وَالوَالِدُ الحَنُونُ أَبُو قُتَيْبَةَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرُ شَابِّي التَّبَسِّيُّ** -سَدَّدَ اللهُ خُطَاهُ-، فَجَاءَ شَرْحُهُ كَالْغَيْثِ لِلْقُلُوبِ الصَادِيَّةِ، وَالْبُرْهَانِ لِلْعُقُولِ الحَائِرَةِ .

وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالحِفْظِ وَالتَّقْيِيدِ، وَلَا يَنْفُذُ إِلَّا بِالإِتْقَانِ وَالتَّجْوِيدِ؛ فَقَدِ انْبَرَيْتُ لِجَمْعِهَا وَتَقْيِيدِهَا عَلَى وَجَلٍ، بَاذِلاً فِيهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ الْقَاصِرِ، مُعْتَرِفاً بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ، لَكِنْ لَمْ آلُ جُهْداً فِي تَقْرِيبِ الْعِلْمِ لِإِخْوَتِي، وَتَيْسِيرِهِ لِلرَّاغِبِينَ فِيهِ، فَاجْتَهَدْتُ فِي عَزْوِ الآيَاتِ لِمَوَاطِنِ سُوَرِهَا، وَتَخْرِيجِ الأَحَادِيثِ مِنْ مَصَادِرِهَا، وَتَحْرِيرِ التَّعَارِيفِ وَالتَّقْسِيمَاتِ عَلَى وَفْقِ مَذَاهِبِ الأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ[1]، لِتَكُونَ الرِّسَالَةُ رِيَاضاً مَمْرُوعَةً، وَثِمَاراً مَقْطُوعَةً، وَهَدِيَّةً مَمْنُوحَةً، جَاهِزَةً لِإِخْوَةِ **"طَلَائِعِ الْخَيْرِ "و "مَنَاهِلِ الخَيْرِ"** ابْتِدَاءً ، وَلِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ يَرْغَبُ فِي الاِسْتِفَادَةِ تَبَعًا.

فَاللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنَا، وَيَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهِّمْنَا؛ اللَّهُمَّ اجْزِ **الشَّيْخَ الشَّارِحَ** خَيْرَ مَا جَزَيْتَ شَيْخًا عَنْ أُمَّتِهِ، وَبَارِكْ فِي **الْأَخِ النَّاسِخِ** الَّذِي خَطَّ بِيَمِينِهِ، وَفِي **الْأَخِ الْمُنَسِّقِ** الَّذِي رَتَّبَ بِيَقِينِهِ، وَاجْعَلْ هَذَا الْعَمَلَ ذُخْراً لِإِخْوَتِنَا فِي **"طَلَائِعِ الْخَيْرِ "و "مَنَاهِلِ الخَيْرِ"** الْمُنْتَظِرِينَ لِنُورِهِ، وَلِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا، وَثَبِّتْنَا عَلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

[1] وَمِنْ بَابِ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ؛ نُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ الْعَزْوَ فِي الْغَالِبِ قَدْ جَاءَ مُوَافِقاً لِتَرْقِيمِ "الْمَكْتَبَةِ الشَّامِلَةِ" الرَّقْمِيَّةِ عَبْرَ الشَّابِكَةِ (الْأَنْتَرْنِتْ). وَإِنَّمَا كَانَ الصَّنِيعُ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْعُزْوَاتِ -سَوَاءٌ كَانَ الْكَلَامُ لِلشَّيْخِ الشَّارِحِ أَوْ مَنْقُولاً عَنِ الْأَئِمَّةِ- لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ مَبْسُوطَةٌ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ، وَشَرْحٍ أَوْفَى فِي مَصَادِرِهَا؛ فَالْمَقْصِدُ الرَّئِيسُ هُوَ إِرْشَادُ الطَّالِبِ لِمَظَانِّ الْكِتَابِ؛ اسْتِزَادَةً مِنَ الْعِلْمِ، وَتَبَحُّراً فِي ضَبْطِ الْمَعْلُومَاتِ. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَنَّ النُّصُوصَ قَدْ نُقِلَتْ بِحَذَافِيرِهَا لَفْظاً، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ تَطَابُقاً كُلِّيّاً فِي الْعِبَارَاتِ، بَلْ هِيَ مُسْتَفَادَةٌ بِالْمَعْنَى وَالتَّصَرُّفِ، أَوْ مَسُوقَةٌ عَلَى سَبِيلِ الاِسْتِشْهَادِ وَالاِسْتِئْنَاسِ؛ وَهَذَا الْمَنْهَجُ فِي الْعَزْوِ (بِاعْتِمَادِ النَّقْلِ بِالْمَعْنَى مَعَ الْإِحَالَةِ لِلْمَصْدَرِ بِصِيغَةِ الاِسْتِدْلَالِ) هُوَ أَمْرٌ جَارٍ وَمَعْمُولٌ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ التَّصْنِيفِ وَالتَّأْلِيفِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ الْمُحَقِّقِينَ فِي رَسَائِلِهِمْ.

2. مُقَدِمَةُ الشَارِحِ :

الأُصُولُ السِّتَّةُ: هَذِهِ الرِّسَالَةُ المَاتِعَةُ النَّافِعَةُ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ وَمُجَدِّدِ الدَّعْوَةِ :**مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ** -رَحِمَهُ اللهُ-، ضَمَّنَهَا أُصُولاً سِتَّةً مُعْتَبَرَةً تَتَعَلَّقُ بِبِنَاءِ المُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ لَدَى المُسْلِمِ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الأُصُولَ مَدْعُومَةً بِأَدِلَّتِهَا الصَّحِيحَةِ، وَشَوَاهِدِهَا الوَاضِحَةِ، ضَارِبًا لِأَمْثِلَةٍ وَاقِعَةٍ اسْتِنْبَاطًا مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الأُصُولُ مَبْثُوثَةً فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ جَلِيَّةً، لَا خَفَاءَ فِيهَا وَلَا لَبْسَ وَلَا اشْتِبَاهَ.

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَدْ ضَلَّ فِي فَهْمِهَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَانْحَرَفُوا عَنْ جَادَّةِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ فِي مَعْرِفَتِهَا وَالأَخْذِ بِهَا.

وَقَدْ جَمَعَ المُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- هَذِهِ الأُصُولَ السِّتَّةَ بِأَدِلَّتِهَا قَصْدَ بَيَانِهَا لِلنَّاسِ، وَدَعْوَتِهِمْ لِلاطِّلَاعِ عَلَيْهَا، وَفَهْمِهَا، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا؛ سَعْيًا مِنْهُ -رَحِمَهُ اللهُ- لِنُصْحِ الأُمَّةِ وَدَلَالَتِهِمْ عَلَى الخَيْرِ وَالنَّفْعِ فِي عَاجِلَتِهِمْ وَآجِلَتِهِمْ.

كَمَا أَنَّهُ أَرَادَ الْكَشْفَ عَنْ أَوْجُهِ الإِلْتِبَاسِ وَالتَّمْوِيهِ وَالاشْتِبَاهِ الَّتِي يَعْرِضُهَا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ لِإِضْلَالِ النَّاسِ وَإِزَاغَتِهِمْ عَنِ الْهُدَى؛ خِدْمَةً لِمَنَاهِجِ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ، وَصَدًّا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَأَتْبَاعِهِ.

- شَرْحُ الْبَسْمَلَةِ:

قَالَ المُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- :**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** .افْتَتَحَ المُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-رِسَالَتَهُ بِالْبَسْمَلَةِ اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللهِ، وَائْتِسَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ كَانَ يَفْتَتِحُ كُتُبَهُ إِلَى الأُمَرَاءِ وَالمُلُوكِ بِالْبَسْمَلَةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ -رَحِمَهُمَا اللهُ- فِي "صَحِيحَيْهِمَا" مِنْ حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ :بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ...الْحَدِيثَ. [1]

وَاقْتِدَاءً بِعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَقَدْ كَانُوا يَصْدُرُونَ كُتُبَهُمْ وَمُصَنَّفَاتِهِمْ بِالْبَسْمَلَةِ الْتِمَاسًا لِلْبَرَكَةِ مِنَ الْبَدْءِ بِاسْمِ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا شَرْحُ الْبَسْمَلَةِ كَثِيرًا فِي دُرُوسِنَا وَمَجَالِسِنَا فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْرَارِهِ.

فَالْمُتَأَمِّلُ فِي الْجُمَلِ الْأُولَى الَّتِي ابْتَدَأَ بِهَا الْمُصَنِّفُ رِسَالَتَهُ، يُدْرِكُ أَنَّ الشَّيْخَ أَرَادَ تَوْجِيهَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِأُسْلُوبِ النَّاصِحِ الْمُشْفِقِ، الْمُنَبِّهِ عَلَى مَوَاطِنِ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ، وَالْمُحَذِّرِ مِنْ مَزَالِقِ الشَّرِّ؛ وَذَلِكَ لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ؛ تَعْلِيمًا لِلْجَاهِلِينَ، وَتَنْبِيهًا لِلْغَافِلِينَ، وَتَذْكِيرًا لِلنَّاسِينَ، وَتَحْفِيزًا لِلْمُتَيَقِّظِينَ، وَتَرْغِيبًا لِلطَّالِبِينَ الْمُجِدِّينَ.

وَعِنْدَ الِاطِّلَاعِ عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ، يُدْرِكُ الْمُسْلِمُ -فَضْلاً عَنْ طَالِبِ الْعِلْمِ- أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ مُلِحَّةٍ إِلَى مَعْرِفَتِهَا وَفَهْمِهَا وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا. وَقَدْ رَكَّزَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي رِسَالَتِهِ هَذِهِ عَلَى بَيَانِ **حَدِّ التَّوْحِيدِ** وَمُتَعَلِّقَاتِهِ، وَ**حَدِّ الشِّرْكِ** وَذَرَائِعِهِ، وَمَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ مَوَاطِنَ مُشْتَبِهَةٍ وَأُمُورٍ مُتَوَهَّمَةٍ.

وَقَدْ تَرْجَمَ الْمُصَنِّفُ لِرِسَالَتِهِ بِقَوْلِهِ :**أُصُولٌ سِتَّةٌ عَظِيمَةٌ**[2].

[1] [أخرجه البخاري (7) ومسلم(1773)].

[2] إِضَاءَاتٌ لُغَوِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ

- حَدُّ التَّوْحِيدِ :أَيْ تَعْرِيفُهُ الْجَامِعُ الْمَانِعُ الَّذِي يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ.
- الذَّرَائِعُ :جَمْعُ (ذَرِيعَةٍ)، وَهِيَ الْوَسِيلَةُ الْمُفْضِيَةُ إِلَى الشَّيْءِ؛ وَ"سَدُّ الذَّرَائِعِ" أَصْلٌ مُعْتَبَرٌ لِحِمَايَةِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ.
- الْمَوَاطِنُ الْمُشْتَبِهَةُ :هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي يَلْتَبِسُ فِيهَا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ عَلَى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَقَدْ جَلَّاهَا الشَّيْخُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

- تَعْرِيفُ الْأُصُولِ:

تَرْجَمَ الْمُصَنِّفُ لِرِسَالَتِهِ بِقَوْلِهِ :**أُصُولٌ سِتَّةٌ عَظِيمَةٌ.**

- **الْأُصُولُ** :جَمْعُ أَصْلٍ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، أَوْ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ فَرْعُهُ[1].

- **سِتَّةٌ** :لَمْ يَقْصِدِ الْمُصَنِّفُ حَصْرَ الْعَدَدِ فِيهَا، إِنَّمَا عَدَّهَا مِنْ بَابِ تَسْهِيلِ الْأَمْرِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ لِضَبْطِهَا وَحِفْظِهَا وَاسْتِيعَابِهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِحْضَارِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ.[2] وَهِيَ أُصُولٌ كُلِّيَّةٌ عَامَّةٌ يَنْدَرِجُ تَحْتَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْفُرُوعِ وَالْمَسَائِلِ الْجُزْئِيَّةِ الَّتِي لَا يَظْهَرُ أَثَرُهَا إِلَّا بِرَدِّهَا إِلَى أَصْلِهَا.

- شَرْحُ الْمَلِكِ وَالْغَلَّابِ:

شَرْحُ قَوْلِهِ: الدَّالِّ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ

أَمَّا **الْمَلِكُ** :فَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى، وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَـٰلِكِ يَومِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] .وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «هُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْجُمْهُورِ، وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِسِيَاسَةِ الْعُقَلَاءِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَلِكُ النَّاسِ، وَلَا يُقَالُ: مَلِكُ الْأَشْيَاءِ»[3].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ -رَحِمَهُ اللهُ-: «قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي: الْمَلِكُ النَّافِذُ الْأَمْرِ فِي مُلْكِهِ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ يَنْفُذُ أَمْرُهُ وَتَصَرُّفُهُ فِيمَا يَمْلِكُهُ، فَالْمَلِكُ أَعَمُّ مِنَ الْمَالِكِ، وَاللهُ تَعَالَى مَالِكُ الْمَالِكِينَ كُلِّهِمْ، إِنَّمَا اسْتَفَادُوا التَّصَرُّفَ فِي أَمْلَاكِهِمْ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى»[4].

---

[1] أُنْظُرْ لِسَانُ العَرَبِ «لِابْنِ مَنْظُورٍ (مَادَّةُ: أصل)؛ حَيْثُ قَالَ: «أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا يُسْتَنَدُ إِلَيْهِ. وَالتَّعْرِيفَاتُ لِلْجُرْجَانِيِّ (ص: 28)؛ حَيْثُ نَصَّ عَلَى أَنَّ: «الأَصْلُ: مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَالمِصْبَاحُ المُنِيرُ «لِلْفَيُّومِيِّ (1/ 16)؛ حَيْثُ عَرَّفَهُ بِأَنَّهُ: «أَسْفَلُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ اشْتُقَّتِ القَاعِدَةُ أَنَّ الأَصْلَ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ. إِنَّ قَوْلَهُ: **أَوْ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ فَرْعُهُ؛** هُوَ تَعْرِيفٌ تَبْسِيطِيٌّ جَلِيٌّ، يَسْتَخْدِمُهُ الشُّرَّاحُ لِتَقْرِيبِ الصُّورَةِ لِلذِّهْنِ؛ لِيُبَيِّنُوا أَنَّ العِلَاقَةَ بَيْنَ "الأَصْلِ" وَ"الفَرْعِ" كَالعِلَاقَةِ بَيْنَ جِذْرِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا؛ فَالأَغْصَانُ تَعُودُ فِي غِذَائِهَا وَثَبَاتِهَا إِلَى الأَصْلِ. (انظر :**شرح الأصول من علم الأصول** لابن عثيمين [ص: 21] طبعة دار البصيرة).

[2] إِنَّ حصرَ المسائلِ بالأعدادِ مدرسةٌ نبويةٌ لتقريبِ العلمِ وضبطِ الفهمِ، كقوله ﷺ :ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ- واجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبقاتِ .فالمقصدُ هو تيسيرُ الاستيعابِ وتثبيتُ الحفظِ لا حصرُ كمالِ الشريعةِ، وهو من أبلغِ أساليبِ البيانِ التي تَجْمَعُ الشتاتَ وتَرْسَخُ فِي الصُّدُورِ.

[3] [أُنْظُرْ المفردات في غريب القرآن ص 774]

[4] [أُنْظُرْ تفسير الأسماء للزجاج]

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ ﷺ: «الْمَلِكُ: الْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ، الْمَوْصُوفُ بِصِفَةِ الْمُلْكِ، وَهِيَ صِفَةُ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْقَهْرِ وَالتَّدْبِيرِ، الَّذِي لَهُ التَّصَرُّفُ الْمُطْلَقُ فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالْجَزَاءِ». [1]

أَمَّا **الْغَلَّابُ**: مِنْ غَلَبَ يَغْلِبُ فَهُوَ غَالِبٌ وَغَلَّابٌ، وَهُوَ عَلَى وَزْنِ (فَعَّالٍ) بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ،

وَمَعْنَاهُ: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلَا يُرَدُّ وَلَا يُمْنَعُ وَلَا يُخَالَفُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا للهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فِي الْكَوْنِ أَوْ فِي الْخَلْقِ كَانَ كَمَا أَرَادَهُ وَيَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَجَلَالِ حِكْمَتِهِ، وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ وَعُمُومِ مَشِيئَتِهِ.

وَ(الْغَلَّابُ) لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى الْحُسْنَى "التوقيفية"، إِنَّمَا يَجُوزُ الْإِخْبَارُ بِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مِنْ جِهَةِ تَضَمُّنِهِ كَمَالَ الْوَصْفِ فِي الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ. أَمَّا اسْمُ **الْغَالِبُ**: فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَدِّهِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى الْحُسْنَى كَالْخَطَّابِيِّ، وَابْنِ مَنْدَه، وَالْحَلِيمِيِّ، وَالْبَيْهَقِيِّ، وَالْأَصْبَهَانِيِّ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ؛ -رَحِمَهُمُ اللهُ- اسْتِنْبَاطًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: 21].

وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ تَضَمَّنَ فِعْلاً مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ (الْغَلَبَةُ)، وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الْأَفْعَالَ لَا تُؤْخَذُ مِنْهَا الْأَسْمَاءُ (أي الأسماء توقيفية[2])، وَلَكِنْ يُمْكِنُ إِيرَادُهُ فِي "بَابِ الْإِخْبَارِ"، وَهُوَ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَمَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ[3].

- تَعْرِيفُ الْأَصْلِ فِي الِاصْطِلَاحِ:

قَوْلُهُ: **سِتَّةُ أُصُولٍ**؛ الْأُصُولُ مُفْرَدُهَا (أَصْلٌ)، وَهُوَ مَا بُنِيَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ لُغَةً كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ،

---

[1] [تيسير الكريم الرحمن].

[2] المعنى: إن أسماء الله تعالى "توقيفية"، أي نقتصر فيها على ما ورد في الكتاب والسنة. فلا يجوز لنا أن نشتق لله اسماً من كل فعل فعله.

[3] باب الإخبار أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ فكلُّ اسمٍ صفة، وكلُّ صفةٍ يُخبر بها، وليس كلُّ ما يُخبر به صفة، ولا كل صفة اسماً». انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين ﷺ [ص: 32]. **قال ابن القيم** ﷺ: ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته. انظر: **بدائع الفوائد**.[1/162].

وَقَدْ يُطْلَقُ فِي الاِصْطِلَاحِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

1. **بِمَعْنَى الدَّلِيلِ**: وَهُوَ الْمَشْهُورُ؛ كَقَوْلِكَ: «أَصْلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ»، أَيْ: دَلِيلُهَا مِنْهُمَا.

2. **بِمَعْنَى الرَّاجِحِ مِنَ الْأَمْرِ**: كَقَوْلِكَ: «الْأَصْلُ فِي الْكَلَامِ الْحَقِيقَةُ دُونَ الْمَجَازِ»، وَالْأَصْلُ بَرَاءَةُ الذِّمَّةِ.

3. **بِمَعْنَى الْقَاعِدَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ**: كَقَوْلِهِمْ: «أَكْلُ الْمَيْتَةِ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ»، أَيْ: عَلَى خِلَافِ الْحَالِ الْمُسْتَمِرَّةِ.

4. **بِمَعْنَى الْمُقِيسِ عَلَيْهِ**: وَهُوَ مَا يُقَابِلُ (الْفَرْعَ) فِي بَابِ الْقِيَاسِ[1].

وَقَدْ يَكُونُ مَقْصُودُ الْمُصَنِّفِ هُنَا: أُصُولَ الْمَسَائِلِ الْكُلِّيَّةِ الثَّابِتَةِ قَطْعًا بِأَدِلَّتِهَا، الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَفِي أُخْرَاهُ.

- بَيَانُ وُضُوحِ هَذِهِ الْأُصُولِ لِلْعَوَامِّ:

قَوْلُهُ: بَيَّنَهَا اللَّهُ بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ

أَيْ: أَنَّ الدَّلِيلَ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَدُلُّ عَلَيْهَا وَيُوَضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا؛ بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ (الْعَامِّيُّ) مَعْرِفَتَهَا وَإِدْرَاكَهَا وَفَهْمَهَا دُونَ اللُّجُوءِ إِلَى عَنَاءٍ كَثِيرٍ فِي اسْتِيعَابِهَا.

وَ(الْعَامِّيُّ) هُوَ: مَنْ رَضِيَ مَعْرِفَةَ دِينِهِ عَنْ طَرِيقِ تَقْلِيدِ غَيْرِهِ دُونَ الِاطِّلَاعِ عَلَى حُجَّتِهِ؛ وَذَلِكَ لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ بِالنَّظَرِ فِي أَدِلَّةِ النُّصُوصِ وَمَرَاتِبِهَا وَأَحْكَامِهَا. وَقَدْ يُقَالُ: سُمِّيَ بِـ(الْعَوَامِّ) مِنَ (الْعَمَى)؛ حَيْثُ يَتَّبِعُونَ غَيْرَهُمْ كَحَالِ الْأَعْمَى الَّذِي يَقُودُهُ غَيْرُهُ مِنْ يَدِهِ فَيَتْبَعُهُ.

وَذِكْرُ الْمُصَنِّفِ لِلْعَوَامِّ هُنَا فِيهِ (تَنْبِيهٌ بِالْأَدْنَى لِلْإِشَارَةِ إِلَى الْأَعْلَى)؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعَوَامُّ مِنَ النَّاسِ يَفْهَمُونَ هَذِهِ الْأُصُولَ الْمَذْكُورَةَ وَلَا تُشْكِلُ عَلَيْهِمْ، فَمَاذَا يَكُونُ حَالُ مَنْ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِقَدْرٍ مُعْتَبَرٍ مِنَ الْعِلْمِ، عَالِمًا كَانَ أَوْ طَالِبَ عِلْمٍ؟ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

---

[1] انظر: وَ "**شَرْحُ الْكَوْكَبِ الْمُنِيرِ**" لِابْنِ النَّجَّارِ الْفُتُوحِيِّ (1/ 39)، وَ "**التَّعْرِيفَاتُ**" لِلشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ.

وَهَذَا الأُسْلُوبُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ- جَاءَ مُضَمَّنًا فِي نُصُوصِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي مَوَاطِنَ عِدَّةٍ؛ وَهُوَ مَا يُسَمَّى عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ بِـ**مَفْهُومِ المُوافَقَةِ**[1]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: 10]. فَإِذَا كَانَ "الأَكْلُ" مُحَرَّمًا، فَإِنَّ "الإِتْلَافَ" وَ"التَّضْيِيعَ" مُحَرَّمٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى؛ لِأَنَّ العِلَّةَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ التَّعَدِّي عَلَى مَالِ اليَتِيمِ.

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**]. [2] فَمَا بَالُكَ بِمَنْ دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَزَاحَ عَنْ عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ مَا عَلَقَ بِهَا مِنْ أَوْضَارِ الشِّرْكِ بِجَمِيعِ صُوَرِهِ وَمَظَاهِرِهِ؟! فَهَذَا أَحَقُّ بِثَوَابِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ.

الموقع الرسمي للشيخ: عبد الله بن محمد الطاهر شابي

---

[1] **دِلَالَةُ المَفْهُومِ عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ:** يَقْسِمُ عُلَمَاءُ الأُصُولِ دَلَالَةَ اللَّفْظِ إِلَى قِسْمَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ:

1. **مَنْطُوقٌ:** وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ (العِبَارَةُ الصَّرِيحَةُ).
2. **مَفْهُومٌ:** وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لَا فِي مَحَلِّ النُّطْقِ (المَعْنَى المُسْتَنْتَجُ).

وَيَنْقَسِمُ **المَفْهُومُ** إِلَى: مَفْهُومِ مُوَافَقَةٍ وَمَفْهُومِ مُخَالَفَةٍ. وَ**مَفْهُومُ المُوَافَقَةِ:** هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى ثُبُوتِ حُكْمِ المَنْطُوقِ لِلْمَسْكُوتِ عَنْهُ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي عِلَّةِ الحُكْمِ، حَيْثُ يَكُونُ المَسْكُوتُ عَنْهُ **مُوَافِقًا** لِلْمَنْطُوقِ فِي الحُكْمِ (إِيجَابًا أَوْ تَحْرِيمًا). وَيُسَمَّى أَيْضًا عِنْدَ بَعْضِ الأُصُولِيِّينَ بِـ**فَحْوَى الخِطَابِ** أَوْ **القِيَاسِ الجَلِيِّ**.

أَقْسَامُ مَفْهُومِ المُوَافَقَةِ (مَعَ الأَمْثِلَةِ) يَنْقَسِمُ مَفْهُومُ المُوَافَقَةِ إِلَى نَوْعَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ بِنَاءً عَلَى قُوَّةِ العِلَّةِ فِي المَسْكُوتِ عَنْهُ:

1. مَفْهُومُ مُوَافَقَةٍ لَحْنِيٌّ (مُسَاوٍ) وَفِيهِ يَكُونُ المَسْكُوتُ عَنْهُ **مُسَاوِيًا** لِلْمَنْطُوقِ فِي عِلَّةِ الحُكْمِ تَمَامًا، فَيَأْخُذُ نَفْسَ حُكْمِهِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ.

- **المِثَالُ:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا...﴾ [النساء: 10].
  - **المَنْطُوقُ:** تَحْرِيمُ "أَكْلِ" مَالِ اليَتِيمِ.
  - **المَفْهُومُ المَسْكُوتُ عَنْهُ:** إِحْرَاقُ مَالِ اليَتِيمِ، أَوْ إِتْلَافُهُ، أَوْ تَبْدِيدُهُ فِي غَيْرِ مَصْلَحَتِهِ.
  - **العِلَّةُ:** الضَّرَرُ وَالتَّعَدِّي عَلَى حَقِّ اليَتِيمِ.
  - **الحُكْمُ:** التَّحْرِيمُ لِلْإِتْلَافِ تَمَامًا كَالْأَكْلِ، لِأَنَّ النَّتِيجَةَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ ضَيَاعُ المَالِ.

2. مَفْهُومُ مُوَافَقَةٍ فَحْوِيٌّ (أَوْلَوِيٌّ): وَفِيهِ يَكُونُ المَسْكُوتُ عَنْهُ **أَوْلَى بِالحُكْمِ** مِنَ المَنْطُوقِ، لِأَنَّ العِلَّةَ فِي المَسْكُوتِ عَنْهُ أَقْوَى وَأَظْهَرُ بِمَرَاحِلَ مِنَ المَنْطُوقِ. وَيُعْرَفُ هَذَا بِـ**مِنْ بَابِ أَوْلَى**.

- **المِثَالُ الأَشْهَرُ:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: 23].
  - **المَنْطُوقُ:** تَحْرِيمُ قَوْلِ "أُفٍّ" لِلْوَالِدَيْنِ (وَهُوَ أَدْنَى مَرَاتِبِ التَّذَمُّرِ).
  - **المَفْهُومُ المَسْكُوتُ عَنْهُ:** الشَّتْمُ، أَوِ الضَّرْبُ، أَوْ إِهَانَتُهُمَا.
  - **العِلَّةُ:** الإِيذَاءُ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ.
  - **الحُكْمُ:** إِذَا كَانَ اللَّفْظُ قَدْ حَرَّمَ التَّأْفِيفَ، فَإِنَّ الضَّرْبَ وَالشَّتْمَ مُحَرَّمَانِ **مِنْ بَابِ أَوْلَى**؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الإِيذَاءِ فِيهِمَا أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ.

[2] أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (652)، وَمُسْلِمٌ (1914) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

- تَنْبِيهٌ عَلَى اصْطِلَاحِ الرَّافِضَةِ فِي لَفْظِ العَوَامِّ:

وَلَا يَفُوتُنَا هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الشِّيعَةَ (الرَّافِضَةَ) يُطْلِقُونَ لَقَبَ (العَامَّةِ) أَوِ (العَوَامِّ) عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -حَتَّى عُلَمَائِهِمْ- قَصْدَ التَّنَقُّصِ، وَالتَّعْيِيبِ، وَالازْدِرَاءِ، وَالسُّخْرِيَةِ؛ بَيْنَمَا يُطْلِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَقَبَ **الخَاصَّةِ**. نَسْأَلُ اللهَ -ﷻ- أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَهُوَ حَسْبُنَا فِيهِمْ وَنِعْمَ الوَكِيلُ[1].

قَوْلُهُ :فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ

أَيْ: أَنَّ مَضْمُونَ هَذِهِ الأُصُولِ السِّتَّةِ قَدْ بُيِّنَ بَيَانًا كَافِيًا يَزِيدُ عَلَى مَا يَتَصَوَّرُهُ كُلُّ رَاغِبٍ فِي مَعْرِفَتِهَا، وَطَالِبٍ لِفَهْمِهَا وَإِدْرَاكِهَا. وَهَذَا مِنْ إِحْكَامِ البَيَانِ الإِلَهِيِّ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى جُعِلَتِ الحُجَّةُ فِيهِ قَائِمَةً عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

الموقع الرسمي للشيخ:

- ضَلَالُ الْأَذْكِيَاءِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ:

قَوْلُهُ :ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا الْأَقَلَّ الْقَلِيلَ

أَيْ: أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا الْوُضُوحِ الْوَارِدِ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَدِلَّتِهِ الصَّحِيحَةِ وَبَرَاهِينِهِ الْوَاضِحَةِ، قَدْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْأُصُولِ كَثِيرٌ مِنْ (أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ)؛ وَالْأَذْكِيَاءُ جَمْعُ (ذَكِيٍّ)، وَهُوَ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِسُرْعَةِ الْفَهْمِ وَقُوَّةِ الِاسْتِيعَابِ وَحِدَّةِ الْوَعْيِ لِمَا غَمَضَ وَخَفِيَ، وَضِدُّهُ (الْبَلِيدُ الْغَبِيُّ)؛ وَمَعْنَاهُ بَطِيءُ الْفَهْمِ ضَعِيفُ الِاسْتِيعَابِ ثَقِيلُ الْإِدْرَاكِ[2].

وَأَمَّا قَوْلُهُ :**إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ** فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى كَثْرَةِ الضُّلَّالِ وَالْمُنْحَرِفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ -أَعْنِي مَعْرِفَةَ هَذِهِ الْأُصُولِ السِّتَّةِ الْهَامَّةِ- رَغْمَ ظُهُورِهَا وَكَشْفِهَا.

---

[1] **المَصْدَرُ** :انظر" :**مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ** "لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ .

[2] انظر التَّعْرِيفَاتُ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص: 110) :حَيْثُ عَرَّفَ الذَّكَاءَ بِأَنَّهُ» :سُرْعَةُ انْتِقَالِ النَّفْسِ مِنَ الْمَطَالِبِ إِلَى الْمَبَادِئِ«، وَهُوَ يُفَسَّرُ بِحِدَّةِ الْفَهْمِ وَتَوَقُّدِهِ.

ولِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ (مَادَّةُ: ذكا) :حَيْثُ جَاءَ فِيهِ» :وَالذَّكَاءُ فِي الفَهْمِ: أَنْ يَكُونَ فَهِيماً سَرِيعَ الفَهْمِ، وَذَكَتِ النَّارُ: اشْتَعَلَتْ«؛ فَالذَّكِيُّ كَأَنَّ فَهْمَهُ يَتَّقِدُ اشْتِعَالاً. الْمُعْجَمُ الْوَسِيطُ :(1/314) «وَنَصُّهُ» :الذَّكِيُّ: السَّرِيعُ الْفَهْمِ، الثَّاقِبُ الرَّأْيِ.

وَلَعَلَّ الْمُصَنِّفَ يَتَحَدَّثُ عَنْ حَالِ زَمَانِهِ حَيْثُ كَثُرَ فِيهِ هَذَا الصِّنْفُ مِنَ الزَّائِغِينَ وَالضَّالِّينَ، وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ الْجَارِيَةِ فِي الْخَلْقِ عَبْرَ الدُّهُورِ وَالْعُصُورِ؛ حَيْثُ يَنْتَشِرُ دُعَاةُ الضَّلَالِ وَالشَّرِّ وَيَقِلُّ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ.

كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُشَارًا إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَو حَرَصتَ بِمُؤمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِن تُطِع أَكثَرَ مَن فِى ٱلأَرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 116].

وَمِنْ هُنَا قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ثُبُوتِ الْحَقِّ بِكَثْرَةِ السَّالِكِينَ وَقِلَّةِ الْهَالِكِينَ، بَلِ الْمُتَعَيِّنُ أَنَّ (الْكَثْرَةَ) قَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ وَالتَّقْبِيحِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ[1].

كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ قَرِيبًا؛ إِنَّمَا الشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ فِي مَعْرِفَةِ صِحَّةِ الْمَذْهَبِ، وَسَلَامَةِ الْمَنْهَجِ، وَاسْتِقَامَةِ السَّيْرِ عَلَى الطَّرِيقِ؛ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِـ **الْتِزَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِينَ**؛ فَهَذَا هُوَ الْمِيزَانُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَطِيشُ، وَالْقُطْبُ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ الْفَلَاحِ؛ فَأَقْرِرْ بِهِ عَيْنَكَ، وَاشْدُدْ عَلَيْهِ يَدَكَ، وَدَعْكَ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّا خَالَفَهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ؛ فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفَ[2].

- سَبَبُ تَعَجُّبِ الْمُصَنِّفِ وَاسْتِغْرَابِهِ:

قَالَ الْمُصَنِّفُ: مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ، الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ...

ابْتَدَأَ الْمُصَنِّفُ هَذِهِ الْأُصُولَ بِتَقْرِيرِ تَعَجُّبِهِ وَاسْتِغْرَابِهِ، وَإِثَارَةِ دَهْشَتِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ؛ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي وُرُودِ مَسَائِلَ فِي الدِّينِ وَاضِحَةٍ جَلِيَّةٍ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ، لَا غَبَشَ عَلَيْهَا وَلَا اشْتِبَاهَ فِيهَا، كَأَنَّكَ تَرَى الشَّمْسَ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، أَوِ الْقَمَرَ لَيْلَةَ التَّمَامِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَضِلُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ -عَامَّتُهُمْ وَخَاصَّتُهُمْ- عَنِ الِاهْتِدَاءِ إِلَى فَهْمِ

---

[1] انظر :الاعتصام للشاطبي [1/ 112]، و«مدارج السالكين» لابن القيم [1/ 147]، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم[95/ 8] وأشهرُ مَن نطقَ بهذه القاعدةِ هو الإمامُ الفضيلُ بنُ عياضٍ -رحمه الله-، وكلمتُهُ منقوشةٌ في كُتبِ السُّنَّةِ والرَّقائقِ: عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْهُدَى وَلَا يَضُرُّكَ قِلَّةُ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الضَّلَالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ.

2 هَذَا الميزَانُ هُوَ مَا قَرَّرَهُ أَئِمَّةُ الإِسْلَامِ قَاطِبَةً؛ قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللهُ-: -لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا .انظر: "الشِّفَا" لِلْقَاضِي عِيَاضٍ .[(2/ 676) وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ :فَمَنْ بَنَى الكَلَامَ فِي العِلْمِ: الأُصُولِ وَالفُرُوعِ، عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالآثَارِ المَأْثُورَةِ عَنِ السَّلَفِ؛ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ .مَجْمُوعُ الفَتَاوَى .[(10/ 363)وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي "إِعْلَامِ المُوَقِّعِينَ :فَالعِلْمُ: مَعْرِفَةُ الهُدَى بِدَلِيلِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالاقْتِدَاءِ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَذِهِ الْمَسَائِلِ الظَّاهِرَةِ الْمُبَيَّنَةِ، وَهِيَ مِنَ الْمُسَلَّمَاتِ وَالْبَدِيهِيَّاتِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَبْعَثُ عَلَى الْعَجَبِ، وَيُثِيرُ الْحَيْرَةَ وَالدَّهْشَةَ[1]؛ وَقَدْ جَاءَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّ مَعْنَى (الْعَجَبِ) هُوَ: تَغَيُّرٌ فِي النَّفْسِ يَحْصُلُ بِمَا خَفِيَ سَبَبُهُ وَخَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ. وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ:

1. **خَفَاءُ أَسْبَابِ هَذَا الشَّيْءِ**: عَلَى الْمُسْتَغْرِبِ لَهُ؛ إِذْ أَنَّهُ يُفَاجِئُهُ وَيُبَاغِتُهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّعٍ لَهُ.
2. **الْخُرُوجُ عَنِ النَّظَائِرِ**: أَنْ يَكُونَ فِي سَبَبِ الشَّيْءِ الْمُسْتَغْرَبِ فِيهِ خُرُوجٌ عَنْ نَظَائِرِهِ وَأَمْثَالِهِ وَعَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ عَادَةً وَعُرْفًا[2].

وَالْمُحَصَّلُ أَنَّ الْمُصَنِّفَ يَعْجَبُ أَشَدَّ الْعَجَبِ لِمُخَالَفَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأُصُولِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي رِسَالَتِهِ رَغْمَ وُضُوحِهَا وَانْكِشَافِهَا وَجَلَائِهَا؛ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ. وَقَدْ يَتَعَلَّلُ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأُصُولِ بِعِلَلٍ سَقِيمَةٍ، وَأَعْذَارٍ وَاهِيَةٍ، وَحُجَجٍ مَرْدُودَةٍ؛ إِمَّا عَنْ طَرِيقِ دَعْوَى الْجَهْلِ تَارَةً، أَوْ عَنْ طَرِيقِ الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ تَارَةً أُخْرَى، أَوْ بِذِكْرِ تَأْوِيلَاتٍ فَاسِدَةٍ، أَوْ مَعَانٍ مَوْهُومَةٍ، أَوْ اعْتِرَاضَاتٍ مُرْدِيَةٍ، أَوْ بِعَرْضِ شُبَهٍ بَاطِلَةٍ.[3]

الموقع الرسمي للشيخ أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

---

1 تَشْبِيهُ الْوُضُوحِ بِالشَّمْسِ: هَذَا مَضْرَبُ مَثَلٍ شَهِيرٌ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ وَالْعُلَمَاءِ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى: [هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي ظَهِيرَةٍ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟] «البخاري: 7437، مسلم: 182. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: -فَمَا عُذْرُ مَنْ ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ بَعْدَ ظُهُورِ الْبُرْهَانِ، كَظُهُورِ الشَّمْسِ فِي ضَحَاهَا؟ وَلَكِنَّ الرَّمَدَ فِي الْبَصِيرَةِ يَحْجُبُ عَنْهَا نُورَ الْيَقِينِ] .«انظر: "مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" 1/ 86. الْغَبَشُ: فِي اللُّغَةِ هُوَ بَقِيَّةُ اللَّيْلِ أَوْ كُدْرَةٌ فِي الْعَيْنِ تَمْنَعُ تَمَامَ الرُّؤْيَةِ. [انظر: "لِسَانُ الْعَرَبِ" مَادَّةُ (غبش)].

2 انْظُرْ" :التَّعْرِيفَاتُ "لِلشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ (ص: 148)، وَ "الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ "لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (مَادَّةُ عَجَبَ)، وَ "الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ "لِلْفَيْرُوزآبَادِيِّ (ص: 113). قُلْتُ: وَمَا أَجْمَلَ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي سِيَاقِ الْعَجَبِ مِنْ حَالِ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْوَحْيِ؛ إِذْ يَقُولُ :فَأَيُّ عَجَبٍ أَعْجَبُ مِنْ تَضْيِيعِ الطَّرِيقِ بَعْدَ وُضُوحِ مَعَالِمِهَا؟ وَأَيُّ حَيْرَةٍ أَعْظَمُ مِنْ طَلَبِ الْهُدَى فِي ظُلُمَاتِ الْآرَاءِ بَعْدَ إِشْرَاقِ شَمْسِ الرِّسَالَةِ؟] انْظُرْ : "مَدَارِجُ السَّالِكِينَ" 1/ 452.[

3 تلك الأصناف التي ذكرها الشارح حفظه الله تعالى هي أصول "القواطع" عن الحق، وقد بسط القول فيها أئمةُ الهدى وهاك بيانها عسى تنتفع بها:

- **الْعِلَلُ السَّقِيمَةُ وَالْأَعْذَارُ الْوَاهِيَةُ**: هي ما يسميه العلماء بـ **"قوادح الاستدلال"**، حيث يُعرض المستدل عما هو قطعي إلى ما هو ظني أو وهمي.
- **الْمُكَابَرَةُ وَالْعِنَادُ**: وهو حالُ من عرف الحق وجحده لغرضٍ نفسي. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].
- **التَّأْوِيلَاتُ الْفَاسِدَةُ**: هي صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل. قال ابن القيم رحمه الله: أصلُ خراب الدّين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يُرِدْه اللهُ ورسولُه بكلامه.

انظر: إعلام الموقعين 4/ 204.

- **الاعْتِرَاضَاتُ الْمُرْدِيَةُ**: (من الردى وهو الهلاك)، ويقصد بها الاعتراض على الوحي بالعقل الفاسد.

- تَعْرِيفُ الآيَاتِ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاحِ:

قَوْلُهُ :وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ؛ الْآيَاتُ جَمْعُ (آيَةٍ)، وَتُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

1. **بِمَعْنَى الْعَلَامَةِ** :وَهُوَ إِطْلَاقُهَا الْمَشْهُورُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلكِهِۦٓ أَن يَأتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: 248].

2. **بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ** :كَقَوْلِهِمْ: «جَاءَ الْقَوْمُ بِآيَتِهِمْ»، أَيْ: بِجَمَاعَتِهِمْ فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[1].

أَمَّا إِطْلَاقُ الْآيَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَهُ أَيْضًا مَعْنَيَانِ:

1. **الْآيَةُ الْقَدَرِيَّةُ الْكَوْنِيَّةُ** :كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِى خَلقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِى ٱلأَلبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190]؛ أَيْ: عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ -جَلَّ وَعَلَا-.

2. **الْآيَةُ الشَّرْعِيَّةُ الدِّينِيَّةُ** :كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ ٱلكِتَٰبَ مِنهُ ءَايَٰتٌ مُّحكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: 7][2].

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

[1] انْظُرْ" :لِسَانُ الْعَرَبِ "لِابْنِ مَنْظُورٍ (مَادَّةُ أَيَا)، وَ "الصِّحَاحُ "لِلْجَوْهَرِيِّ (6/ 2271)، وَ "الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ "لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص: 33).

[2] انْظُرْ" :مَدَارِجُ السَّالِكِينَ "لِابْنِ الْقَيِّمِ (3/ 466)، وَ "مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ(185/ 1) "، وَ "تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ "لِلسَّعْدِيِّ (ص: 163).

3. الْأَصْلُ الْأَوَّلُ – الْإِخْلَاصُ وَبَيَانُ الشِّرْكِ

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ.

- أَوَّلاً: حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ:

شَرَعَ الْمُصَنِّفُ فِي شَرْحِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ (أَصْلُ الْأُصُولِ) وَأُسُّ الْقَوَاعِدِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

- **الْإِخْلَاصُ لُغَةً** :هُوَ الصَّفَاءُ وَالنَّقَاءُ، وَمَعْنَاهُ تَخْلِيصُ الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ مَا يَشُوبُهُ وَيُكَدِّرُهُ. وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ لَهُ مَثَلاً فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ لَكُم فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66]؛ أَيْ صَافِيًا لَمْ تَشُبْهُ شَائِبَةُ الدَّمِ وَلَا الْفَرْثِ.
- **الْإِخْلَاصُ اصْطِلَاحًا** :فَهُوَ كَمَا بَيَّنَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ :**إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ وَحْدَهُ**؛ أَيْ أَنْ يَقْصِدَ الْعَبْدُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَإِرَادَاتِهِ اللهَ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَلَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي ذَلِكَ؛ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ، وَلَا فِي كَثِيرٍ وَلَا فِي قَلِيلٍ، وَلَا فِي خَفِيٍّ وَلَا فِي جَلِيٍّ[1].

وَالْإِخْلَاصُ بِهَذَا الْمَعْنَى يُرَادِفُ (التَّوْحِيدَ). قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ–: «فَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمَطْلُوبِ، وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ... فَهَذِهِ الْأَرْكَانُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَرْكَانُ السَّيْرِ وَأُصُولُ الطَّرِيقِ، الَّتِي مَنْ لَمْ يَبْنِ عَلَيْهَا سُلُوكَهُ فَهُوَ مَقْطُوعٌ»[2].

[1] انْظُرْ" :مَدَارِجُ السَّالِكِينَ "لِابْنِ الْقَيِّمِ (2/ 92) حَيْثُ قَالَ :الْإِخْلَاصُ: هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ، وَأَنْ تُصَفِّيَ الْفِعْلَ عَنْ كُلِّ شَوْبٍ .وَمِنْ حَيْثُ الشُّمُولِ :انْظُرْ" :تَيْسِيرُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ "لِلشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ (ص: 17) فِي شَرْحِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الشِّرْكِ بِجَمِيعِ صُوَرِهِ (الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ).

[2] [انتهى بمعناه من "مدارج السالكين"].

- شُمُولِيَّتُهُ:

فَالإِخْلَاصُ هُوَ تَوَجُّهُ العَبْدِ أَثْنَاءَ عِبَادَتِهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ إِلَى اللهَّ وَحْدَهُ؛ قَصْدَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَتَذَلُّلًا وَخُضُوعًا، طَمَعًا فِي ثَوَابِهِ وَجَنَّتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَنَارِهِ. وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَهَيْئَتِهِ، وَفِي خَلْوَتِهِ وَجَلْوَاتِهِ، مُلْتَزِمًا ذَلِكَ مُوَاظِبًا عَلَيْهِ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ -جَلَّ وَعَلَا.-

وَقَدْ أَمَرَ اللهَّ نَبِيَّهُ ﷺ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿قُل إِنِّي أُمِرتُ أَن أَعبُدَ ٱللَّهَ مُخلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 11]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعبُدُ مُخلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: 14].

كَمَا أَمَرَ جَمِيعَ عِبَادِهِ أَنْ يُخْلِصُوا للهَّ دِينَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ وَدُعَاءَهُمْ وَغَيْرَهَا مِنَ العِبَادَاتِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿فَٱدعُوا ٱللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: 14]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا ٱللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5].

كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ إِخْلَاصَ الدِّينِ حَقٌّ مَحْضٌ مُسْتَحَقٌّ للهَّ ﷻ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلخَالِصُ﴾ [الزمر: 3].

وَالْمُحَصَّلُ -يَا وَفَّقَكَ اللهُّ- أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَّ لَا يَقْبَلُ أَبَدًا شَيْئًا مِنْ عَبْدٍ تَعَلَّقَ بِهِ عِبَادَتُهُ تَعَالَى إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهِ مُخْلِصًا لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، قَوْلاً وَحَالًا، اعْتِقَادًا وَعَمَلًا.

- تَوْكِيدُ التَّنْزِيهِ وَرَدُّ ضَلَالِ القُبُورِيِّينَ:

أَمَّا قَوْلُهُ: وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَفِيهِ مَعْنَى التَّوْكِيدِ وَالتَّثْبِيتِ مِنْ جِهَةِ إِخْلَاصِ العِبَادَةِ للهَّ دُونَ سِوَاهُ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَنْزِيهُهُ تَعَالَى عَنْ مُشَارَكَةِ غَيْرِهِ فِي عِبَادَتِهِ؛ فَلَا حَظَّ وَلَا نَصِيبَ لِغَيْرِهِ -أَيًّا كَانَ- فِي بَابِ العُبُودِيَّةِ؛ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِغَيْرِ اللهَّ شَيْئًا مِنَ الحَقِّ فِي مَجَالِ التَّعَبُّدِ وَالتَّذَلُّلِ وَالمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، كَمَا يَفْعَلُهُ القُبُورِيُّونَ مَعَ أَصْحَابِ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ وَالقِبَابِ وَغَيْرِهَا[1].

[1] مَعْنَى الإِخْلَاصِ المُرَكَّبِ :انْظُرْ" :شِفَاءُ العَلِيلِ "لِابْنِ القَيِّمِ فِي بَيَانِ جَمْعِ القَلْبِ عَلَى اللهَّ.

- ثَانِيًا: بَيَانُ ضِدِّهِ (الشِّرْكُ بِاللهِ)

أَيِ التَّعْرِيفُ بِضِدِّ الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّ "الْأَشْيَاءَ تَتَمَيَّزُ بِأَضْدَادِهَا."

- **مَادَّةُ الشِّرْكِ (ش ر ك)** :تُفِيدُ فِي مَعْنَاهَا الْمُجْمَلِ الْخَلْطَ وَالضَّمَّ؛ أَيْ جَعْلُ الشَّيْءِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 32].

- **الشِّرْكُ اصْطِلَاحًا** :أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ شَرِيكًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ أُلُوهِيَّتِهِ، أَوْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

- **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ** رَحِمَهُ اللهُ :حَقِيقَةُ الشِّرْكِ: التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ، وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ[1].

- **وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ :أَصْلُ الشِّرْكِ أَنْ تَعْدِلَ بِاللهِ مَخْلُوقَاتِهِ فِي بَعْضِ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَحْدَهُ»[2].

وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ عَدَلَ بِاللهِ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ»[3].

- **تَعْرِيفُ النَّبِيِّ** ﷺ:عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ : **أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**[4].

- **تَعْرِيفُ الْإِمَامِ السَّعْدِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ :حَقِيقَةُ الشِّرْكِ بِاللهِ أَنْ يُعْبَدَ الْمَخْلُوقُ كَمَا يُعْبَدُ اللهُ، أَوْ يُعَظَّمَ كَمَا يُعَظَّمُ اللهُ، أَوْ يُصْرَفَ لَهُ نَوْعٌ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ»[5].

بُطْلَانُ عَمَلِ الْمُشْرِكِ :انْظُرْ" :مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى "لِشَيْخِ الإِسْلَامِ (1/ 204) حَيْثُ قَالَ :فَاللهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ.

الرَّدُّ عَلَى الْقُبُورِيِّينَ :انْظُرْ" :تَطْهِيرُ الِاعْتِقَادِ عَنْ أَدْرَانِ الإِلْحَادِ "لِلصَّنْعَانِيِّ (ص: 28)، وَ "كَشْفُ الشُّبُهَاتِ "لِلْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ.

1 انظر الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي «(ويُعرف بـ «الدَّاء وَالدَّوَاء»)، طبعة دار عالم الفوائد، ص: 202.

2 كِتَابُ الِاسْتِقَامَةِ»، تحقيق د. محمد رشاد سالم، المجلد: 1، الصَّفحة: 344.

3 مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى، طبعة مجمع الملك فهد (جمع ابن قاسم)، المجلد: 13، الصَّفحة: 19.

4 رواه البخاري (4477) ومسلم.(86)

5 [تفسير السعدي، ص 279].

- خُلَاصَةُ القَوْلِ فِي خُطُورَةِ الشِّرْكِ وَأَنْوَاعِهِ:

وَمُحَصَّلُ القَوْلِ فِي الشِّرْكِ: هُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ مَعَ اللهَّ؛ بِأَنْ يُجْعَلَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ شَبِيهٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، أَوْ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُّ إِلَّا بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]. وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ العُلَمَاءِ أَنَّ الشِّرْكَ أَنْوَاعٌ: أَكْبَرُ، وَأَصْغَرُ، وَخَفِيٌّ.

وَالمَطْلُوبُ المُتَحَتِّمُ هُوَ اجْتِنَابُ جَمِيعِ هَذِهِ الأَنْوَاعِ، وَالاحْتِرَازُ مِنَ الوُقُوعِ فِيهَا بِالتَّوَقِّي عَنْ أَسْبَابِهَا وَوَسَائِلِهَا.

وَقَدْ رَكَّزَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى خُطُورَةِ الشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ الأَكْثَرُ وُقُوعًا مِنَ النَّاسِ، وَيُعَدُّ مَوْطِنَ النِّزَاعِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ، وَهُوَ أَسْرَعُ وُلُوجًا إِلَى القَلْبِ بِسَبَبِ "الغُلُوِّ" وَالتَّعْظِيمِ لِغَيْرِ اللهَّ ﷻ؛ كَمَا يُفْعَلُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالمَيِّتِ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ، وَالأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ المَزْعُومِينَ.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَنْتَبِهَ -يَا عَبْدَ اللهَّ- إِلَى أَنَّ الشِّرْكَ كُلَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ مَبْغُوضٌ عِنْدَ اللهَّ ﷻ، وَهُوَ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ، وَأَقْبَحِ الذَّنْبِ، وَأَثْقَلِ الوِزْرِ، وَأَهْلَكِ الإِثْمِ؛ إِذْ أَنَّ آثَارَهُ لَا تَزُولُ إِلَّا بِتَوْبَةِ العَبْدِ مِنْهُ؛ أَكْبَرِهِ وَأَصْغَرِهِ وَخَفِيِّهِ.

- بَيَانُ الضِّدِّ وَتَوْثِيقُ النُّونِيَّةِ:

وَبِالنَّظَرِ إِلَى قَوْلِ المُصَنِّفِ: وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ:

يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الإِخْلَاصَ فِي الدِّينِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاجْتِنَابِ هَذَا الشِّرْكِ المُبِينِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ وَصُوَرِهِ وَمَظَاهِرِهِ، مَعَ اجْتِنَابِ أَسْبَابِهِ وَذَرَائِعِهِ؛ تَوَافُقًا مَعَ القَاعِدَةِ الَّتِي تَقُولُ: **وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ**، وَالأُمُورُ لَا تَتَمَيَّزُ وَلَا يَظْهَرُ جَمَالُهَا وَحُسْنُهَا وَنَفْعُهَا إِلَّا بِذِكْرِ أَضْدَادِهَا.

وَقَدْ أَحْسَنَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ قَالَ فِي نُونِيَّتِهِ:

وَالشِّرْكُ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ❁❁❁ ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ

وَهُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ ❁❁❁ أَيٌّ كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَإِنْسَانِ

يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ❁❁❁ وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ.[1]

- وُضُوحُ التَّوْحِيدِ فِي الْقُرْآنِ:

قَوْلُهُ :وَكَانَ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ

أَيْ أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ آيَاتِ التَّوْحِيدِ وَبَيَّنَهَا بِوُرُودِهَا عَلَى أَوْجُهٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ؛ كُلُّهَا تَفِيءُ إِلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ تَقْرِيرُ تَوْحِيدِ اللهِّ، وَبَيَانُ وُجُوبِ مَعْرِفَةِ الْعِبَادِ لَهُ، وَأَنَّهُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى مِنْ خَلْقِ الْعِبَادِ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ تَحْقِيقُ هَذَا التَّوْحِيدِ بِإِفْرَادِ اللهِّ بِالْعِبَادَةِ أَمْراً وَنَهْياً فِعْلاً وَتَرْكاً.

وَأَنْتَ -يَا وَفَّقَكَ اللهُّ- حِينَ تَتَأَمَّلُ فِي سُوَرِ الْقُرْآنِ تَدَبُّراً وَتَمَعُّناً، تَجِدُ أَنَّ مَا مِنْ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِهِ إِلَّا وَقَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ سَابِقاً فِي الْقُرْآنِ:

1. **إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِّ ﷻ وَعَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ** :وَذَاكَ مَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ بِـ: **التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ النَّظَرِيِّ الْخَبَرِيِّ**.

2. **وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ** :وَهَذَا مَا يَدْعُوهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِـ: **التَّوْحِيدِ الطَّلَبِيِّ الْإِرَادِيِّ الْقَصْدِيِّ**.

3. **وَإِمَّا أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ إِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ تَعَالَى** :فَذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتِهِ.

---

[1]

1. تَقْسِيمُ الشِّرْكِ :انْظُرْ" :الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ "لِابْنِ عُثَيْمِينَ.(1/114)
2. مَوْطِنُ النِّزَاعِ :انْظُرْ" :مَدَارِجُ السَّالِكِينَ "لِابْنِ الْقَيِّمِ.(1/344)
3. تَوْثِيقُ الْأَبْيَاتِ :هِيَ مِنْ مَنْظُومَةِ "الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ فِي الِانْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ "(الْمَعْرُوفَةِ بِالنُّونِيَّةِ) لِابْنِ الْقَيِّمِ، فَصْلٌ فِي حَقِيقَةِ الشِّرْكِ.
4. الْقَاعِدَةُ اللُّغَوِيَّةُ :بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ الشَّهِيرُ :وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ.

4. **وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِ اللهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ** :وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ فِي أُخْرَاهُمْ، وَهَذَا جَزَاءُ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ تَعَالَى.

5. **وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ** :وَمَا فَعَلَ بِهِمْ مِنْ نَكَالٍ وَعُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ عَدَلَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ وَحَادَ عَنْ قَصْدِهِ وَرَضِيَ بِالشِّرْكِ وَسُوءِهِ[1].

وَقَوْلُهُ :مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ النُّصُوصَ الْقُرْآنِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي بَيَانِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُضَادُّهُ مِنَ الشِّرْكِ جَاءَتْ عَلَى وُجُوهٍ مُتَبَايِنَةٍ وَأَسَالِيبَ مُتَعَدِّدَةٍ:

- **تَارَةً بِسَوْقِ نُصُوصِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ الْأُلُوهِيَّةَ** :كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ** ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 21-22].

- **تَارَةً بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ** :كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [النحل: 71].

وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الروم: 28].

---

[1] الْمَصْدَرُ :كِتَابُ مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .الْمُؤَلِّفُ :الإِمَامُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ.

- طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ :الْمُجَلَّدُ: 3، الصَّفْحَةُ: 449 – 450.
- طَبْعَةُ دَارِ عَالَمِ الْفَوَائِدِ (تَحْقِيقُ عُمَيْرَانَ) :الْمُجَلَّدُ: 5، الصَّفْحَةُ: 2368 – 2369.

يقول ابن القيم في هذا الموضع ما نصه: «فَكُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعَيِ التَّوْحِيدِ (الْعِلْمِيِّ وَالطَّلَبِيِّ)، بَلْ نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ...» ثم ساقه مفصلاً كما أورده الشيخ الشارح حفظه الله واعلم رحمني الله واياك أن هذا التقسيم يُسمى عند العلماء بـ **"استقراء ابن القيم للقرآن"**، حيث ردَّ كل آيات الوعيد والوعد والقصص والأحكام إلى أصل التوحيد، وهو من أقوى ما يُستدل به على أن التوحيد هو مَقصد القرآن الأعظم.

وَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: كَمَا أَنَّكُمْ لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبِيدُكُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَرِزْقِكُمْ وَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِي شُرَكَاءَ مِنْ عَبِيدِي وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ؟ هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالْجُحُودِ؟!

- **تَارَةً بِسَرْدِ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ**: وَمَوَاقِفِهِمْ فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ؛ فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَشِعَارُهُ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 59].

- **تَارَةً بِذَمِّ الْآلِهَةِ الْمَعْبُودَةِ بِالْبَاطِلِ**: وَبَيَانِ عَجْزِهَا وَنَقْصِهَا؛ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف: 191-195].

- **تَارَةً بِذِكْرِ حَالِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**: وَكَيْفَ يَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.[1]

- يُسْرُ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَوُضُوحُهُ لِلْعَامَّةِ:

قَوْلُهُ: (بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ):

أَيْ: لَا يَحْتَاجُ فَهْمُهُ إِلَى كَثِيرِ عَنَاءٍ، أَوْ طَوِيلِ بَحْثٍ، أَوْ حِدَّةِ ذَكَاءٍ؛ حَيْثُ إِنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِ وَقُلُوبِ الْعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ. فَكَمَا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُصَلَّى للهِ وَحْدَهُ، وَيُصَامَ لَهُ، وَيُحَجَّ لَهُ؛ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ اللهُ بِبَقِيَّةِ عِبَادَتِهِ مِنْ ذَبْحٍ، وَنَذْرٍ، وَدُعَاءٍ، وَتَوَكُّلٍ، وَاسْتِغَاثَةٍ، وَنَحْوِهَا. فَإِذَا قَرَأْتَ عَلَى أَحَدِهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: 1] فَهِمَ مَعْنَاهَا، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَفْكِيرٍ كَثِيرٍ لِإِدْرَاكِ ذَلِكَ.

[1] انْظُرْ": **مَدَارِجُ السَّالِكِينَ** "لِابْنِ الْقَيِّمِ (3/ 449-450)؛ حَيْثُ جَلَّى هَذَا التَّقْسِيمَ الْبَدِيعَ لِشُمُولِ الْقُرْآنِ لِلتَّوْحِيدِ.

- غُرْبَةُ الدِّينِ وَعِلَلُ الِانْحِرَافِ فِي الْأُمَّةِ:

قَوْلُهُ: (ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ):

مِنْ زَيْغٍ وَانْحِرَافٍ عَنِ الْهُدَى الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ ظُهُورِ الْجَهْلِ بِالدِّينِ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ، وَعُزُوفِ النَّاسِ عَنِ الْإِقْبَالِ عَلَى تَعَلُّمِ الدِّينِ، وَالِاشْتِغَالِ بِمَا يُضْعِفُ الْإِيمَانَ وَيُرَقِّقُ الدِّينَ؛ إِلَى جَانِبِ بُعْدِهِمْ عَنْ عَصْرِ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَهُدَاةِ الدِّينِ وَدُعَاتِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ مِمَّا أَدَّى ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى وُقُوعِ النَّاسِ - أَوْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ- فِي حَيْرَةٍ، وَاضْطِرَابٍ، وَشَكٍّ، وَسُوءِ فَهْمٍ لِحَقِيقَةِ الدِّينِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ مَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ بِـ**غُرْبَةِ الدِّينِ**؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ :**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا**[1].

- مَكَايِدُ الشَّيْطَانِ: تَصْوِيرُ الْإِخْلَاصِ بِصُورَةِ "تَنَقُّصِ" الصَّالِحِينَ:

قَوْلُهُ: (أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ):

وَذَلِكَ مَعْهُودٌ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ، وَتَلْبِيسَاتِهِ، وَخِدَاعِ النَّاسِ؛ حَيْثُ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّ الْمُوَحِّدَ الَّذِي أَخْلَصَ دِينَهُ للهَّ، وَعَامَلَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَبِمَا هُمْ أَهْلُهُ، أَنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنِ احْتِقَارِ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، وَتَنَقُّصِهِمْ، وَتَعْيِيبِهِمْ، وَعَدَمِ احْتِرَامِهِمْ، وَالْحَطِّ مِنْ شَأْنِهِمْ .

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْمُوَحِّدَ الْمُخْلِصَ مَا فَعَلَ مَعَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ إِلَّا مَا أَمَرَهُ اللهَّ بِهِ؛ فَلَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَّهُ، وَلَمْ يَغْلُ فِيهِمْ، فَمَنَحَهُمْ حَقَّهُمْ، وَلَمْ يُبَالِغْ فِي الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ كَمَا أَرَادَ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ؛ الَّذِينَ لَبَسُوا عَلَى الْعَامَّةِ فَضَلُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَضَلُّوا غَيْرَهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ [النمل: 24]. وَقَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿**لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ النحل ٢٥.

[1] رواه مسلم.(145)

- مَكَايِدُ الشَّيْطَانِ: تَصْوِيرُ الْإِخْلَاصِ بِصُورَةِ "تَنَقُّصِ" الصَّالِحِينَ

قَوْلُهُ: (وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللَّهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ) :

أَيْ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَلِّقُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ -أَحْيَائِهِمْ وَأَمْوَاتِهِمْ- مِنَ الْغُلُوِّ فِي تَعْظِيمِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَإِعْطَائِهِمْ بَعْضَ خَصَائِصِ اللهِ تَعَالَى، وَدَعْوَتِهِمْ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ؛ كُلُّ هَذَا الَّذِي يُعَدُّ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى، وَمِمَّا يُبْغِضُهُ سُبْحَانَهُ وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ مِنِ اتِّخَاذِ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ أَنْدَاداً للهِ؛ يُظْهِرُهُ الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ -بَعْدَ تَزْيِينِهِ وَبَهْرَجَتِهِ- أَنَّهُ مِنْ خَالِصِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَتَقْدِيرِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ، وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً تِجَاهَهُمْ.

فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ تَنَقَّصَهُمْ وَعَابَهُمْ وَضَيَّعَ حُقُوقَهُمْ .وَبِهَذَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ بِتَدْبِيرِهِ هُوَ وَمَنِ اسْتَخْدَمَهُ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالَةِ، قَدْ خَدَعَ كَثِيراً مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ دِينَهُ وَلَا يَبْحَثُ عَنْهُ وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ؛ فَأَوْقَعَهُمْ فِي الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ تَعَالَى.

- قَاعِدَةٌ سَلَفِيَّةٌ :

أَوَّلُ شِرْكٍ وَقَعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ بِسَبَبِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ (وَدّ، وَسُوَاع، وَيَغُوث، وَيَعُوق، وَنَسْر)؛ كَمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" (4920) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

لِذَا يَنْبَغِي التَّحْذِيرُ مِنَ الْغُلُوِّ فِي مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَنْبِيَاءُ اللهِ وَرُسُلُهُ؛ حَيْثُ زَاغَ أَقْوَامٌ كَثُرٌ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْوَسَطِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

فَقَدْ وَجَدْنَا مَنْ غَلَا فِي مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى عَبَدَهُ، وَادَّعَى لَهُ بَعْضَ خَصَائِصِ اللهِ ﷻ، وَجَعَلَهَا مِنْ حُقُوقِهِ -عِيَاذاً بِاللهِ ﷻ-، نَسْأَلُ اللهَ ﷻ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ. وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا مَعَ مَنْ بَالَغَ فِي مَحَبَّةِ الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ وَتَعْظِيمِهِمْ حَتَّى عَبَدُوهُمْ؛ كَحَالِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْهُمْ، فَأَدَّى بِهِ ذَلِكَ إِلَى صَرْفِ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ إِلَى هَذَا الْمَقْبُورِ، وَالَّتِي يَنْبَغِي أَنْ لَا تُصْرَفَ إِلَّا للهِ ﷻ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

- خُلَاصَةُ الأَصْلِ الأَوَّلِ:

وَقَدْ يُلْحَظُ أَنَّ الْمُصَنِّفَ بَدَأَ بِهَذَا الْأَصْلِ تَعْرِيفاً وَشَرْحاً؛ لِأَنَّهُ يُمَثِّلُ أَصْلَ أُصُولِ الدِّينِ وَرُكْنَهُ الرَّكِينَ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَاؤُهُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا أَتَى بَعْدَهُ يَكُونُ مُكَمِّلاً لَهُ. فَإِذَا فُقِدَ هَذَا الْأَصْلُ ضَاعَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَلَا تَنْفَعُ الْأَعْمَالُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا فَقَدَتْ أَهَمَّ شَرْطٍ لِقَبُولِهَا أَلَا وَهُوَ الْإِخْلَاصُ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا يَدْعُونَا إِلَى التَّوْكِيدِ بِحَزْمٍ عَلَى دَعْوَةِ الْأُمَّةِ إِلَى تَعَلُّمِ التَّوْحِيدِ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ، وَضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِجَمِيعِ صُوَرِهِ، مَعَ تَجَنُّبِ أَسْبَابِهِ وَذَرَائِعِهِ. وَهَذَا وَاجِبٌ مُحَتَّمٌ يُطَالَبُ بِهِ الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الْأَثْبَاتُ ابْتِدَاءً، وَطُلَّابُ الْعِلْمِ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَعاً لَهُمْ، مِنْ خِلَالِ مَا أُتِيحَ لَهُمْ مِنْ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَمَا أَكْثَرَهَا الْيَوْمَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى[1].

الموقع الرسمي للشيخ:
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

[1] 1. فِي سُهُولَةِ فَهْمِ التَّوْحِيدِ (أَبْلَدُ الْعَامَّةِ):

- انْظُرْ :تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ «لِلشَّيْخِ السَّعْدِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ– عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17]؛ حَيْثُ بَيَّنَ أَنَّ أُصُولَ الدِّينِ مُيَسَّرَةٌ لِكُلِّ مَنْ طَلَبَهَا.
- وَانْظُرْ :إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ «لِابْنِ الْقَيِّمِ (1/ 32)؛ فِي كَلَامِهِ عَنْ وُضُوحِ مَعَالِمِ الْإِسْلَامِ لِلْخَاصِّ وَالْعَامِّ.

2.فِي مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ وَتَلْبِيسِهِ (تَنَقُّصُ الصَّالِحِينَ):

- الْمَصْدَرُ الْأَسَاسِيُّ :إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيْطَانِ «لِابْنِ الْقَيِّمِ (1/ 204)؛ فِي بَابِ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْأَوْثَانِ وَتَسْمِيَتِهِ الشِّرْكَ مَحَبَّةً.
- انْظُرْ أَيْضاً :كَشْفُ الشُّبُهَاتِ «لِلْمُصَنِّفِ (مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ)؛ حَيْثُ رَدَّ عَلَى شُبْهَةِ أَنَّ تَرْكَ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ يُعَدُّ تَنَقُّصاً لَهُمْ.

3.فِي أَصْلِ الشِّرْكِ (الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ):

- تَوْثِيقُ الْأَثَرِ :مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ "(رقم: 4920) فِي قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا....
- الْمَصْدَرُ :فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ «لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ).

4.فِي أَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ كَأَصْلِ الْأُصُولِ:

- انْظُرْ :مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى «لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (1/ 24)؛ حَيْثُ قَرَّرَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ قُطْبُ الرَّحَى الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ.
- انْظُرْ أَيْضاً :مَدَارِجُ السَّالِكِينَ «لِابْنِ الْقَيِّمِ (1/ 344)؛ فِي مَقَامِ الْإِخْلَاصِ وَكَوْنِهِ شَرْطَ قَبُولِ الْعَمَلِ.

5.فِي وَاجِبِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ:

- انْظُرْ :مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ «لِابْنِ الْقَيِّمِ (1/ 121)؛ فِي بَيَانِ مَسْؤُولِيَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَبْصِيرِ النَّاسِ بِأَصْلِ دِينِهِمْ.

4. الأَصْلِ الثَّانِي: الِاجْتِمَاعُ وَالِاعْتِصَامُ

قَوْلُهُ :أَمَرَ اللَّهُ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ.

وَهُوَ أَصْلٌ مُهِمٌّ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ لِتَحْقِيقِ سَلَامَةِ الدِّينِ وَحِفْظِهِ عَلَى مُسْتَوَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ؛ فِي مَجَالِ الِاعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالسُّلُوكِ؛ لِضَمَانِ تَحْصِيلِ الثَّمَرَةِ النَّافِعَةِ مِنَ الدِّينِ فِي تَمَاسُكِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ وَقُوَّتِهِمْ وَمَتَانَةِ صُفُوفِهِمْ، وَمُجَابَهَتِهَا لِجَمِيعِ الْأَخْطَارِ الْمُتَوَقَّعِ نُزُولُهَا بِهِمْ.[1]

وَقَدْ يُرَادُ بِالِاجْتِمَاعِ مَعْنَى الِاجْتِمَاعِ عَلَى الدِّينِ الْوَاحِدِ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَخُلُقًا وَحُكْمًا، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الِاجْتِمَاعُ فِي الْأَبْدَانِ لِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالْخِلَافَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ؛ وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ مُرَادٌ هُنَا فِي كَلَامِ الْمُصَنِّفِ، وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ نُصْحِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِلْأُمَّةِ.[2]

- بَرَاهِينُ الْوَحْيَيْنِ عَلَى وُجُوبِ الِاجْتِمَاعِ وَمُقْتَضَيَاتِ الِانْقِيَادِ لِشَرْعِ اللهِ:

وَقَدْ تَكَاثَرَتِ الْأَدِلَّةُ وَتَظَافَرَتْ عَلَى ثُبُوتِ هَذَا الْأَصْلِ وَمَدَى حَاجَةِ الْأُمَّةِ إِلَيْهِ -لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ-؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا وَرَدَ مِنْ نُصُوصٍ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، كَثِيرٌ مِنْهَا يَدْعُو إِلَى الِاجْتِمَاعِ عَلَى الدِّينِ مُؤَكِّدًا عَلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ مُحَذِّرًا مِنْهُ.

كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ * وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ... لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾. (سورة آل عمران، الآيات: 102-103).

وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾. (سورة آل عمران، الآية: 105).

وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾. (سورة الأنفال، الآية: 46).

[1] (انظر :مجموع الفتاوى «لابن تيمية.([15/ 28]

[2] (انظر» :فتح القدير «للشوكاني.([1/ 369]

وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾. (سورة الأنعام، الآية: 159).

وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾. (سورة الشورى، الآية: 13).

وَالْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ آنِفًا كُلُّهَا تَضَمَّنَتْ أَمْرَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالاِجْتِمَاعِ عَلَى دِينِهِ، وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَالاِسْتِمْسَاكِ بِنَهْجِهِ، وَالتَّقَيُّدِ بِشَرْعِهِ، وَالْتِزَامِ طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ بِتَنْفِيذِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَوُقُوفٍ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَمُسَارَعَةٍ إِلَى تَطْبِيقِ أَحْكَامِهِ مَعَ الرِّضَا وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالاِنْقِيَادِ وَالْقَبُولِ، مِنْ غَيْرِ ضِيقٍ وَلَا حَرَجٍ وَلَا نُفُورٍ.

- مَفَاسِدُ التَّفَرُّقِ وَمَنْهَجُ الاِجْتِمَاعِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ قَدْ حَذَّرَتِ الْآيَاتُ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي دِينِ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا نَهَى اللهُ ﷻ عَنْهُ وَأَبْغَضَهُ وَحَذَّرَ مِنْهُ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ للهِ ﷻ الطَّائِعِينَ لَهُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ فَيَذْهَبُونَ مَذَاهِبَ شَتَّى تُسَبِّبُ لَهُمُ الْخِلَافَ وَالنِّزَاعَ وَالصِّرَاعَ، وَمِنْ ثَمَّ التَّبَاغُضَ وَالتَّحَاقُدَ وَالتَّحَاسُدَ وَالْبَغْيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَيُفْضِي ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى فَسَادِ دِينِهِمْ وَضَعْفِ قُوَّتِهِمْ وَتَشَتُّتِ جَمْعِهِمْ وَتَفَكُّكِ صُفُوفِهِمْ، فَيَكُونُ مَصِيرُ ذَلِكَ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمْ وَيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، وَيُمَكِّنَ الْأَعْدَاءَ مِنْ رِقَابِهِمْ جَزَاءَ تَفَرُّقِهِمْ فِي دِينِهِمْ.

وَالاِجْتِمَاعُ الْمَقْصُودُ بَلِ الْمَطْلُوبُ عَقْلًا وَشَرْعًا وَوَاقِعًا لَا يَتَأَتَّى لِلْأُمَّةِ تَحْقِيقُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَفْرَادُهَا مُتَّبِعِينَ أَثَرَ نَبِيِّهِمْ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعَ آثَارِ مَنْ أَوْصَى بِاتِّبَاعِهِمْ وَهُمْ أَصْحَابُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-؛ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُقَرَّرًا فِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**[1].

[1] أخرجه أبو داود برقم [4607]، والترمذي برقم.([2676]

وَكَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**.[1] وَكَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**[2]

- مِيزَانُ الِاخْتِلَافِ الْبَشَرِيِّ وَحَقِيقَةُ الِافْتِرَاقِ الْمَذْمُومِ:

وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الِاخْتِلَافَ فِي الرُّؤَى وَالْأَفْكَارِ وَالتَّصَرُّفَاتِ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ، فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ؛ فَعَلَيْهِمْ لُزُومًا كُلُّهُمُ الرُّجُوعُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ﷻ: ﴿**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ**﴾. (سورة النساء، الآية: 59). وَذَلِكَ يُحْفَظُ بِهِ الدِّينُ، وَيَسْلَمُ الْمُعْتَقَدُ، وَتُصَانُ بِهِ الْأُمَّةُ.

أَمَّا التَّفَرُّقُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ فَهُوَ الِافْتِرَاقُ فِي الدِّينِ، وَالتَّفَرُّقُ فِي الْأَبْدَانِ، وَالتَّنَافُرُ فِي الْعَقَائِدِ وَالتَّصَوُّرَاتِ؛ وَمِنْهُ ظُهُورُ الْجَمَاعَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمُتَنَازِعَةِ، وَالْأَحْزَابِ الْمُتَنَاحِرَةِ، وَالْفِرَقِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي ضَلَّ أَكْثَرُهَا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَأَضَلُّوا غَيْرَهُمْ؛ بِتَخَلِّيهِمْ عَنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَمَنْهَجًا وَمَسْلَكًا.[3]

- بَيَانُ السُّنَّةِ وَانْقِلَابِ الْمَوَازِينِ:

قَوْلُهُ: (فَبَيَّنَ هَذَا بَيَاناً شَافِياً تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ):

أَيْ لَا يَحْتَاجُ فَهْمُهُ إِلَى عُمْقِ تَفْكِيرٍ، أَوْ دِقَّةِ نَظَرٍ، أَوْ قُوَّةِ تَأَمُّلٍ، أَوْ بُعْدِ تَدَبُّرٍ؛ بَلْ بِمُجَرَّدِ قِرَاءَةِ النُّصُوصِ يَعْلَمُ الْعَامِّيُّ وَشِبْهُهُ وُجُوبَ الِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَالِاتِّفَاقِ فِي الْمُعْتَقَدِ كَمَا أَمَرَ اللهُ ﷻ، وَكَمَا نَهَى وَحَذَّرَ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ وَالِاخْتِلَافِ فِيهِ مِنَ الْوَجْهِ الْآخَرِ.[4]

قَوْلُهُ: (وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا):

---

[1] أخرجه البخاري برقم [6065]، ومسلم برقم[2559]).

[2] أخرجه البخاري برقم [481] ، ومسلم برقم.([2585]

[3] (انظر :الاعتصام للشاطبي لمزيد من العلم والنور.

[4] (انظر :تيسير الكريم الرحمن للسعدي ، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم .

وَكَأَنَّ هَذَا مُنْتَزَعٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: 105]. وَهُوَ حَالُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ بِاسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ، وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَقْلِيدِ مَنْ أَضَلَّهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَرُؤُوسِ الْبِدَعِ وَدُعَاةِ التَّحَزُّبِ؛ فَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَتَبَايُنُهُمْ فِي مَنَاهِجِهِمْ، وَتَضَارُبُهُمْ فِي أَفْكَارِهِمْ، حَتَّى جَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّدَابُرِ وَالتَّبَاغُضِ ثُمَّ التَّقَاتُلِ، وَفِي ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِبُغْيَةِ الشَّيْطَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ ﷻ[1].

قَوْلُهُ: (وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ): وَمَضْمُونُهُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللهُ ﷻ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ؛ مُؤَكِّداً أَمْرَهُ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَمُحَذِّراً مِنَ التَّفَرُّقِ فِيهِ، مَعَ سَدِّ كُلِّ الذَّرَائِعِ وَقَطْعِ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ. [2]

- شَوَاهِدُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى لُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَخَطَرِ التَّفَرُّقِ:

قَوْلُهُ: (وَيَزِيدُهُ وُضُوحاً مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ فِي ذَلِكَ):

أَيْ يَزِيدُ الْأَمْرَ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهُ وُضُوحاً مَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ:

فَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ[3].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**.[4]

---

[1] انظر: الاعتصام للشاطبي، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير.

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية.

[3] أخرجه الترمذي برقم [2863] وصححه الألباني

[4] أخرجه أبو داود برقم [547] وصححه الألباني.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ [1].

وَعَنْ عَرْفَجَةَ الْأَشْجَعِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ [2]؛ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِناً مَنْ كَانَ [3].

وَبَلَغَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الْحِرْصِ عَلَى اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ نَهَاهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ إِذَا كَانُوا سَفَراً؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ يَتَقَارَبُوا وَيَنْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ:

كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ: **كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ؛** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ [4].

فَفِي الْحَدِيثِ نَهْيٌ عَنْ تَفَرُّقِ الْأَبْدَانِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى تَفَرُّقِ الْقُلُوبِ وَمِنْ ثَمَّ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ الْمُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ.

SUBSCRIBE LIKE SHARE

- انْتِكَاسُ الْمَوَازِينِ: حِينَ صَارَ الِاعْتِصَامُ زَنْدَقَةً وَالِافْتِرَاقُ عِلْمًا:

قَوْلُهُ: (ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ):

---

[1] أخرجه الترمذي برقم [2165] وصححه الألباني

[2] **الهَنَاتُ (جَمْعُ هَنَةٍ)**: وَالهَنَةُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اسْمُهُ صَرَاحَةً، إِمَّا لِقُبْحِهِ أَوْ لِعِظَمِ خَطَرِهِ. وَالمَقْصُودُ بِهَا فِي الحَدِيثِ: **الشُّرُورُ، وَالفِتَنُ، وَالأُمُورُ العِظَامُ المُسْتَقْبَحَةُ، وَالاضْطِرَابَاتُ** الَّتِي سَتَقَعُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ. و **تِكْرَارُ اللَّفْظِ («هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ»)**: يُفِيدُ فِي اللُّغَةِ **التَّكْثِيرَ وَالتَّتَابُعَ**، أَيْ أَنَّهَا لَيْسَتْ فِتْنَةً وَاحِدَةً، بَلْ فِتَنٌ كَثِيرَةٌ، مُتَعَاقِبَةٌ، وَمُتَنَوِّعَةٌ.

[3] أخرجه مسلم برقم.([1852]

[4] (أخرجه أبو داود برقم [2628] وصححه الألباني).

وَمَعْنَى (زِنْدِيقٌ) أَيْ: مُلْحِدٌ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنَ الْكُفْرَ. وَالزَّنْدَقَةُ لُغَةً مَعْنَاهَا الضِّيقُ، وَسُمِّيَ الزِّنْدِيقُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ تُطْلَقُ عَلَى الْإِلْحَادِ وَإِنْكَارِ وُجُودِ اللهِ ﷻ.[1]

وَمُرَادُ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ هُنَا أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَتَمَسَّكُ بِدِينِهِ وَيَلْتَزِمُ بِشَرْعِ رَبِّهِ ﷻ إِعْتِقَاداً وَعَمَلاً عَلَى وَفْقِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللهُ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُتَّهَماً عِنْدَ هَؤُلَاءِ بِالسَّعْيِ فِي إِحْدَاثِ الِاخْتِلَافِ وَإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، بَلْ قَدْ يُنْعَتُ بِأَنَّهُ زِنْدِيقٌ -عِيَاذاً بِاللهِ ﷻ- أَوْ مَجْنُونٌ، وَهَذَا هُوَ الْعَجَبُ كُلُّهُ.

فِي حِينِ أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَالَفُوا الشَّرْعَ وَابْتَدَعُوا فِي الدِّينِ وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ لِتُوَافِقَ أَهْوَاءَهُمْ؛ يَصِفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ! كَمَا هُوَ حَادِثُ الْيَوْمِ؛ فَإِنَّ مَنْ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ الشِّرْكِ يُوصَفُ بِأَنَّهُ يُرِيدُ تَفْرِيقَ صُفُوفِ الْأُمَّةِ، وَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرَآءُ بَرَاءَةَ الذِّئْبِ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ، وَعَلَى حَدِّ قَوْلِ الْقَائِلِ :**رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ**[2].وَالْحَقُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الِافْتِرَاقِ فِي الدِّينِ هُوَ الِابْتِدَاعُ فِيهِ؛ فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ فَإِنَّهُ يُعَدُّ مُشَارِكاً فِي تَفَرُّقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِأَهْلِ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ.[3]

الموقع الرسمي للشيخ: أبي فيصل عمر بن محمد الطاهر سابي

5. الأَصْلُ الثَّالِثُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوَلِيِّ الأَمْرِ:

- السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ: أَصْلُ الِاجْتِمَاعِ وَقَيْدُ الْمَعْرُوفِ:

قَوْلُهُ: (مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا):

وَيُعَدُّ هَذَا الأَصْلُ مِنْ أَهَمِّ أُصُولِ الدِّينِ وَأَخْطَرِهَا، وَتَدْعُو الحَاجَةُ المُلِحَّةُ إِلَى فَهْمِهِ وَضَبْطِ أَحْكَامِهِ وَحُسْنِ تَطْبِيقِهَا -لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ المُتَأَخِّرَةِ-؛ فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ فِيهِ امْتِثَالُ هَذَا

[1] انظر :لسان العرب لابن منظور [مادة: زن د ق]، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي [ص: 836].

[2] انظر :شرح السنة للبربهاري [ص: 114]، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم.([2/412]

[3] انظر :الاعتصام «للشاطبي.

الأَصْلِ الثَّالِثِ، وَهُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوَلِيِّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَفْقَ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رحمهم الله الْمُتَقَرِّرِ فِي عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.[1]

وَالمَقْصُودُ بِـ**السَّمْعِ** فِي كَلَامِ الْمُصَنِّفِ مَعْنَاهُ: القَبُولُ وَالِاسْتِعْدَادُ، وَأَمَّا **الطَّاعَةُ** فَالْمُرَادُ بِهَا: الِانْقِيَادُ وَالِامْتِثَالُ بِفِعْلِ الأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ.

مَعَ مُلَاحَظَةِ أَنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ الْمَطْلُوبَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا لَيْسَتْ مُطْلَقَةً كَمَا يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ هِيَ مُقَيَّدَةٌ بِـ**الْمَعْرُوفِ**؛ فَإِنَّ وُلَاةَ الأَمْرِ لَا يُطَاعُونَ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا -حَقًّا كَانَ أَمْ بَاطِلًا-، إِنَّمَا يُطَاعُونَ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ وَكَانَ خَالِيًا مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ أَوْ مَعْصِيَةِ اللهِ.[2]

فَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: **إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**.[3]من حديث علي رضي الله عنه. وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**[4]. وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: **لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**.[5]

وَقَدْ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله فِي وَصْفِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: «لَا يُوجِبُونَ طَاعَةَ الإِمَامِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، بَلْ لَا يُوجِبُونَ طَاعَتَهُ إِلَّا فِيمَا تَسُوغُ طَاعَتُهُ فِيهِ فِي الشَّرِيعَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَإِنْ كَانَ إِمَامًا عَادِلًا... فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يُطِيعُونَ وُلَاةَ الأُمُورِ مُطْلَقًا، إِنَّمَا يُطِيعُونَهُمْ فِي ضِمْنِ طَاعَةِ الرَّسُولِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ**﴾؛ فَأَمَرَ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى مُطْلَقًا، وَأَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ لِأَنَّهُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِطَاعَةِ اللهِ ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾، وَجَعَلَ طَاعَةَ وَلِيِّ الأَمْرِ دَاخِلَةً

---

[1] (انظر :**العقيدة الطحاوية** بشرح ابن أبي العز [ص: 387]، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية.([20/ 35]

[2] انظر :شرح صحيح مسلم للنووي.([12/ 222]

[3] أخرجه البخاري برقم [7145]، ومسلم برقم [1840]

[4] (أخرجه مسلم برقم[1840])

[5] أخرجه أحمد برقم [1095]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [7520]

فِي ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿**وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا طَاعَةً مُطْلَقَةً لِأَنَّ وَلِيَّ الأَمْرِ لَا يُطَاعُ طَاعَةً مُطْلَقَةً إِنَّمَا يُطَاعُ فِي الْمَعْرُوفِ.[1]

- وُجُوبُ الطَّاعَةِ شَرْعاً وَقَدَراً: عُمُومُ الْمَبْدَأِ وَعِبْرَةُ التَّارِيخِ:

قَوْلُهُ: (وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا):

أَيْ وَلَوْ كَانَ الَّذِي وُلِّيَ عَلَيْنَا عَبْدًا مَنْسُوبًا إِلَى الحَبَشَةِ؛ فَمَا دَامَ قَدْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَهُوَ يَقُودُنَا بِكِتَابِ اللهِ ﷻ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِنَّهُ يَجِبُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**.[2]

وَالتَّشْبِيهُ (رَأْسُهُ كَالزَّبِيبَةِ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى حَقَارَتِهِ وَعَدَمِ الاِعْتِدَادِ بِخِلْقَتِهِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الحَثِّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَعْرُوفِ وَإِنْ كَانَ لَا يُتَصَوَّرُ ابْتِدَاءً أَنْ يَحْظَى العَبْدُ بِالوِلَايَةِ العُظْمَى بِاخْتِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ وَاجِبُ الطَّاعَةِ إِذَا انْعَقَدَتْ لَهُ.[3] وَجَاءَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- قَالَ: **إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**.[4]

قَوْلُهُ: (فَبَيَّنَّهُ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا):

أَيْ أَنَّ أَمْرَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِوَلِيِّ الأَمْرِ قَدْ وَرَدَ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ مُبَيَّنًا مُوَضَّحًا لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ، بَلْ نُقِلَ عَنْ ذَلِكَ إِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ؛ كَقَوْلِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رحمه الله: «وَأَجْمَعُوا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ عَنْ رِضًى أَوْ غَلَبَةٍ وَامْتَدَّتْ طَاعَتُهُ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ لَا يَلْزَمُ الخُرُوجُ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ جَارَ أَوْ عَدَلَ».

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى «لابن تيمية [35/ 16-17]، و«منهاج السنة النبوية..[3/ 388-390]

[2] أخرجه البخاري برقم.([7142]

[3] انظر: فتح الباري «لابن حجر.([13/ 122]

[4] أخرجه مسلم برقم.[1837]

أَمَّا قَوْلُهُ **شَرْعًا** :أَيْ أَنَّهُ تَمَّ بَيَانُ وُجُوبِهِ عَنْ طَرِيقِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

وَأَمَّا **قَدَرًا** :أَيْ أَنَّ وَاقِعَ المَعِيشَةِ وَمَا ذَكَرَهُ التَّارِيخُ يُثْبِتُ أَنَّ حَالَ النَّاسِ فِي أَيِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ لَا يَصْلُحُ مِنْ جِهَةِ الدِّينِ أَوِ الدُّنْيَا إِلَّا بِوُجُودِ وَلِيِّ أَمْرٍ يَحْكُمُ النَّاسَ وَيَسُوسُهُمْ، فَيُسْمَعُ لَهُ وَيُطَاعُ فِي المَعْرُوفِ. وَقَدْ ثَبَتَ مِنِ اسْتِقْرَاءِ التَّارِيخِ أَنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ خَرَجُوا عَلَى وَلِيِّ أَمْرِهِمْ، وَمَا أُسِّسَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ، وَمَا قَامَ لَهُمْ شَأْنٌ، بَلْ كَانَ مَصِيرُهُمُ الضَّعْفَ وَالهَلَاكَ.[1]

وَقَدْ صَدَقَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ قَالَ: «وَقَلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا كَانَ مَا تَوَلَّدَ عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمَّا تَوَلَّدَ مِنَ الخَيْرِ؛ كَالَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى يَزِيدَ بِالمَدِينَةِ (أَهْلِ الحَرَّةِ)، وَكَابْنِ الأَشْعَثِ الَّذِي خَرَجَ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ بِالعِرَاقِ، وَكَابْنِ المُهَلَّبِ الَّذِي خَرَجَ عَلَى ابْنِهِ بِخُرَاسَانَ... وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ؛ إِمَّا أَنْ يُغْلَبُوا وَإِمَّا أَنْ يَغْلِبُوا ثُمَّ يَزُولَ مُلْكُهُمْ فَلَا تَكُونَ لَهُمْ عَاقِبَةٌ... فَلَا أَقَامُوا دِينًا وَلَا أَبْقَوْا دُنْيَا».[2]

وَأَهْلُ العِلْمِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَا جَرَى عَلَى الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَيَّامَ الفِتَنِ الكُبْرَى كَانَ سَبَبُهُ الرَّئِيسُ هُوَ إِضَاعَةَ هَذَا الأَصْلِ؛ إِمَّا بِسُوءِ فَهْمٍ، أَوْ فَسَادِ تَأْوِيلٍ، أَوْ لِاتِّبَاعِ هَوًى.[3]

- غُرْبَةُ أَصْلِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ: بَيْنَ تَلْبِيسِ الْأَدْعِيَاءِ وَرُسُوخِ الْأَتْقِيَاءِ:

قَوْلُهُ :ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ.

أَيْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ أَيْ السَّمْعَ والطَّاعَةَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ أَصْبَحَ غَيْرَ مَعْرُوفٍ لِمَنْ يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى الْعِلْمِ إِدِّعَاءً وكَأَنَّهُ مَا قَرَأَهُ ومَا دَرَسَهُ وَمَا مَرَّ عَلَيْهِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُجْمَعًا عَلَيْهِ عِنْدَ السَّلَفِ مُتَّفَقًا عَلَى وُجُوبِ إِنْفَاذِهِ والْعَمَلِ بِهِ.[4]

---

[1] انظر :الاستذكار «لابن عبد البر.

[2] انظر :منهاج السنة النبوية.

[3] انظر :البداية والنهاية لابن كثير.

[4] انظر :الصواعق المرسلة: لابن القيم.

وَللهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ؛ فَقَدْ صَارَ نَقِيضُ هَذَا الْأَصْلِ (عَدَمُ السَّمْعِ والطَّاعَةِ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ والْخُرُوجُ عَلَيْهِ) هُوَ الْأَصْلُ الْمُتَقَرِّرُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَابِذِينَ لِلْحُكَّامِ والسَّلَاطِينِ.

فَإِذَا تَحَدَّثَ مِنَّا أَوْ مِنْ غَيْرِنَا أَحَدٌ عَنْهُ وَ طَالَبَ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَ تَطْبِيقِهِ انْطِلَاقًا مِنْ تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ اتُّهِمَ بِأَنَّهُ جَاهِلٌ لَا يَعْرِفُ فِقْهَ الْوَاقِعِ وَلَا يَفْقَهُ وَاجِبَ الْوَقْتِ، أَوْ بِأَنَّهُ عَمِيلٌ لِسُلْطَانٍ مُدَاهِنٌ لَهُ فِي دِينِ اللهِ ﷻ بَاحِثٌ عَنْ مَصَالِحِهِ وَ مَنَافِعِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَوْ أَنَّهُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى ضِيَاعِ مَنْصِبِهِ وَ غَيْرِهَا مِنَ التُّهَمِ الْبَاطِلَةِ وَ الدَّعَاوَى الْعَاطِلَةِ الَّتِي لَا تَقُومُ بِهَا حُجَّةٌ أَوْ يَشْفَعُ لَهَا دَلِيلٌ.[1]

وَقَدْ يَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ الْمُخَالِفُونَ لِهَذَا الْأَصْلِ اعْتِقَادَاتٍ وَ يَفْعَلُونَ أَفْعَالًا يَظُنُّونَهَا مِنْ تَأْيِيدِ الْحَقِّ وَ نُصْرَةِ الدِّينِ وَ التَّمْكِينِ لَهُ وَ عَدَمِ الرِّضَا بِالْمُنْكَرِ وَ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ وَ السَّعْيِ لِاسْتِئْصَالِهِ وَ إِحْلَالِ الْمَعْرُوفِ مَحَلَّهُ؛ وَ جَمِيعُ هَذِهِ الِاعْتِقَادَاتِ وَ الظُّنُونِ مِمَّا حَذَّرَ مِنْهُ الشَّرْعُ وَ ذَمَّهُ وَ قَبَّحَهُ وَ نَهَى عَنْهُ كَمِثْلِ الدُّعَاءِ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ بِالشَّرِّ وَ الْهَلَاكِ وَ هُوَ مُخَالِفٌ لِشِعَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ هُوَ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَ الصَّلَاحِ وَ الْهِدَايَةِ لِخِدْمَةِ الْبِلَادِ وَ الْعِبَادِ.[2]

تَوَافُقًا مَعَ مَضْمُونِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي خَرَّجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ ولِرَسُولِهِ ولِكِتَابِهِ ولِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ**[3].

وَهَاكَ يَا وَفَّقَكَ اللهُ ﷻ إِلَى حُسْنِ الْبَصِيرَةِ هَذِهِ الدُّرَّةَ مِنْ دُرَرِ كَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي حِلْيَتِهِ أَنَّ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ، قِيلَ لَهُ: وكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِي؟ قَالَ: «مَتَى مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَجُزْنِي ومَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ فَصَلَاحُ الْإِمَامِ

[1] نفس المصدر السابق.

[2] انظر :شرح السنة للبربهاري .

[3] أخرجه مسلم برقم.[55]

صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ». قِيلَ كَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِي.. فَسِّرْ لَنَا هَذَا. قَالَ: «أَمَّا صَلَاحُ الْبِلَادِ فَإِذَا أَمِنَ النَّاسُ مِنْ ظُلْمِ الْإِمَامِ عَمَرُوا الْخَرِابَاتِ وَ نَزَلُوا الْأَرْضَ، وَ أَمَّا الْعِبَادُ فَيَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَيَقُولُ قَدْ شَغَلَهُمْ طَلَبُ الْمَعِيشَةِ عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَ غَيْرِهِ، فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ خَمْسِينَ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، يَقُولُ لِرَجُلٍ لَكَ مَا يُصْلِحُكَ وَ عَلِّمْ هَؤُلَاءِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَ انْظُرْ مَنْ أَخْرَجَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فِيهِمْ بِمَا يُزَكِّي الْأَرْضَ فَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ فَكَانَ صَلَاحُ الْبِلَادِ وَ الْعِبَادِ». فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ جَبْهَتَهُ وَقَالَ: «يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرُكَ؟»[1].

وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللهُ قَدِيمًا وحَدِيثًا قَدْ أَتَى أُكُلَهُ وَآمَنَ آفَتَهُ وحَقَّقَ نَفْعَهُ.

وَمِنْهَا سَبُّ وُلَاةِ الْأُمُورِ وَ شَتْمُهُمْ وَ تَنَقُّصُهُمْ وَ الطَّعْنُ فِي أَعْرَاضِهِمْ وَ نَشْرُ مَثَالِبِهِمْ وَ نَقَائِصِهِمْ وَ جَرَيَانُهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ مِنْ جَهَلَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ التَّنَدُّرِ وَ التَّفَكُّهِ وَ السُّخْرِيَةِ وَ الِاسْتِهْزَاءِ، حَتَّى غَدَا مَنْ هَبَّ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ يَرَى أَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي نَقْدِ الْحَاكِمِ وَ تَخْطِئَتِهِ وَ تَعْيِيبِهِ وَ انْتِقَادِهِ وَ انْتِقَاصِهِ وَ تِلْكَ لَعَمْرِي مَثْلَبَةٌ لَا تَجُرُّ إِلَى نَفْعٍ أَبَدًا وَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا.[2]

وَمِمَّا زَادَ الْأَمْرَ سُوءًا وَرَدَاءَةً مَا يَقُومُ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ نَشْرِ هَذِهِ الْمَعَايِبِ وَالْأَغْلَاطِ وَالنَّقَائِصِ عَلَى صَفَحَاتِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ مَعَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الِافْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ وَالِاخْتِلَاقِ كَصَبِّ الزَّيْتِ عَلَى النَّارِ.[3]

وَمِنْهَا زَعْمُ كَثِيرٍ مِمَّنْ لُبِّسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَ شُبِّهَ عَلَيْهِمْ أَنَّ السَّمْعَ وَ الطَّاعَةَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ ضَابِطُهُ أَنْ يَكُونَ عَادِلًا، أَمَّا إِذَا ظَلَمَ وَ جَارَ فَيَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ وَ لَوْ كَانَ بِالْقُوَّةِ وَ الْعُنْفِ وَ التَّغْيِيرِ الْقَسْرِيِّ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْ حَالِ كَثِيرٍ مِمَّنْ طَلَبَ الدُّنْيَا وَ مَنَاصِبَهَا وَ رِيَاسَتَهَا وَ اتَّبَعَ الْهَوَى؛ فَإِذَا لَمْ يَنَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا مَالَ إِلَى

[1] أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

[2] انظر :التمهيد لابن عبد البر.

[3] انظر :مجموع فتاوى ابن باز.

هَذَا الْمُنْحَرِفِ الْخَطِيرِ وَ الْمَزْلَقِ الْوَبِيلِ بِسَبَبِ أَنَّهُ حُرِمَ حَظًّا مِنَ الدُّنْيَا أَوْ نَصِيبًا مِنَ الشَّهْوَةِ أَوْ قِسْطًا مِنَ الْجَاهِ وَ الْمَنْصِبِ، وَ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى زَوَالٍ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَفْقَهُونَ مَا يَسْمَعُونَ وَ يَعْلَمُونَ مَا بِهِ يُنْصَحُونَ.[1]

6. الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ

- مَعَالِمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَصِفَاتُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ:

قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ :-الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْأُصُولِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تَكْفُلُ قِيَامَ الْمُجْتَمَعِ عَلَى أُسُسٍ سَلِيمَةٍ وَمَنَاهِجَ قَوِيمَةٍ تُفْضِي بِأَصْحَابِهَا إِلَى الْعَيْشِ الرَّغِيدِ الْآمِنِ مَا دَامَ هُنَاكَ عِلْمٌ وَعُلَمَاءُ. وَالْمَقْصُودُ بِالْعِلْمِ الْمُرَادِ بَيَانُهُ هُنَا هُوَ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ النَّافِعُ الْقَائِمُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمُثْمِرُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُفِيدَةِ؛ وَذَلِكَ أَخْذًا مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ الْمَحْفُوظَةِ.[2]

وَقَدْ أَحْسَنَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ فِي نُونِيَّتِهِ:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ❁❁❁ قَالَ الصَّحَابَةُ أُولُو الْعِرْفَانِ

مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ❁❁❁ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ[3]

كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعُلَمَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَلِمُوا الشَّرْعَ بِأَدِلَّتِهِ وَبَرَاهِينِهِ وَعَمِلُوا بِهِ وَدَعَوُا النَّاسَ إِلَيْهِ، وَهُمْ حَقًّا زُبْدَةُ الْخَلْقِ وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُمْ وَرَثَتُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي حَمْلِ هَذَا الْعِلْمِ النَّافِعِ وَنَشْرِهِ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهِ.[4]

---

[1] انظر :الاستذكار لابن عبد البر [5/ 16]، و«منهاج السنة النبوية» لابن تيمية.[4/ 527]

[2] انظر :**مجموع الفتاوى** لابن تيمية.[13/ 136]

[3] انظر :**الكافية الشافية** لابن القيم [ص: 114].

[4] انظر :**مفتاح دار السعادة** لابن القيم.[1/ 121]

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ –رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، بَلْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**[1] .

كَمَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ أَبْوَابِ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ بِاللهِ ﷻ أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمُوجِبُ لِمَحَبَّتِهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ وَطَاعَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَالطَّمَعِ فِي عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَتْبَعُ ذَلِكَ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَحُدُودِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مَا وَرَدَ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَبَيَّنَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.[2]

– مِعْيَارُ الْفِقْهِ وَكَشْفُ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ: بَيْنَ حَقِيقَةِ الرُّسُوخِ وَمَظَاهِرِ التَّلْبِيسِ:

أَمَّا قَوْلُهُ :وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ:

الْمُرَادُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَيُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْمَشْرُوعِ وَالْمَمْنُوعِ مِنْهُ وَوَسَائِلِ ذَلِكَ، مَعَ بَيَانِ الْمُشْتَبِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ أَيْضًا الَّذِينَ يُعَالِجُونَ النُّصُوصَ وَيَسْتَنْبِطُونَ مِنْهَا أَحْكَامَهُ وَيَضْبِطُونَ مَسَائِلَهَا وَيُبَيِّنُونَ آثَارَهَا إِيجَابًا وَسَلْبًا إِذْنًا وَمَنْعًا. وَلَيْسَ مَقْصُودُ الْمُصَنِّفِ بِالْفُقَهَاءِ الَّذِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى التَّخَصُّصِ فِي فَهْمِ أَبْوَابٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْفِقْهِ بِالْمَعْنَى الِاصْطِلَاحِيِّ الْمَحْدُودِ، بَلِ الْمُرَادُ بِالْفُقَهَاءِ هُمْ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ فِي شَتَّى أَبْوَابِهَا وَتَنَوُّعِ مَقَاصِدِهَا.[3]

[1] أخرجه أبو داود برقم [3641]، والترمذي برقم [2682]، وصححه الألباني.

[2] انظر :طريق الهجرتين لابن القيم [ص: 125].

[3] انظر :**جامع بيان العلم وفضله** لابن عبد البر.[784/ 2]

قَوْلُهُ: (وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ):

يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَشَبَّهُ بِهَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الْأَثْبَاتِ الثِّقَاتِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مِنْهُمْ لَا مَظْهَرًا وَلَا مُخْبَرًا وَلَا عِلْمًا وَلَا فِقْهًا وَلَا قَالًا وَلَا حَالًا، بَلْ هُوَ غَرِيبٌ هَجِينٌ عَنْهُمْ. وَقَدْ بَيَّنَ الْعُلَمَاءُ الْفَارِقَ بَيْنَ صِفَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَامِلِينَ الصَّادِقِينَ وَصِفَاتِ غَيْرِهِمُ الْمُنْتَحِلِينَ الْمُدَّعِينَ لَهُ.[1]

فَإِذَا أَقْحَمَ أَحَدُهُمْ نَفْسَهُ بَيْنَهُمْ مُتَطَفِّلًا عَلَيْهِمْ ظَهَرَ أَمْرُهُ وَانْكَشَفَ حَالُهُ وَلَمْ يَنْخَدِعْ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطَرِ السَّوِيَّةِ بِهِ وَبِهَيْئَتِهِ وَبِقَوْلِهِ وَبِتَلْبِيسِهِ وَتَمْوِيهِهِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ شَهَادَةً عَالِيَةً أَوِ ارْتَقَى رُتْبَةً سَامِقَةً أَوْ أُعْطِيَ دَرَجَةً مُنِيفَةً أَوْ أُسْنِدَ إِلَيْهِ مَنْ مَنْصِبٍ إِدَارِيٍّ عَالٍ مِنْ مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ وَهَيَاكِلِهَا يُعَدُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ؛ كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ سَهْلَ الْمَقَالِ بَعِيدَ الْمَنَالِ.[2]

كَمَا أَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِ بَعْضِ جُهَالِ النَّاسِ أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِالزُّهْدِ وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَإِتْيَانِ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ وَتَقَلَّلَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَالَ إِلَى الْآخِرَةِ يُعَدُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ؛ كَلَّا فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى عِلْمِ هَؤُلَاءِ وَفِقْهِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ. وَأَصْدَقُ مِثَالٍ يُؤَكِّدُ لَكَ مَا أَقُولُ قِصَّةُ مَنْ قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَظَهَرَ لَكَ مِنْ خِلَالِهَا الْبَوْنُ الشَّاسِعُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ؛ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَفْقَهَ الْأَمْرَ أَكْثَرَ فَارْجِعْ إِلَيْهَا.[3]

وَمِنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَثْرَةُ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ اكْتَفَوْا بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَالْإِتْقَانِ أَثْنَاءَ التِّلَاوَةِ بِالرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالطُّرُقِ الْكَثِيرَةِ؛ فَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ طَيِّعَةً سَلِسَةً بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَخَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَفُهُومُهُمْ مِنْ إِدْرَاكِ مَعَانِيهِ وَمَضَامِينِهِ وَأَحْكَامِهِ وَآدَابِهِ ؛ فَضَبَطُوا حُرُوفَهُ وَأَحْكَامَ تِلَاوَتِهِ وَمَا وَقَفُوا عِنْدَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَخَالَفُوهُ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ كَذَلِكَ قُلْتَ: هُوَ عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ فَقِيهٌ فِيهِ؛ فَإِذَا الْتَفَتَّ إِلَى اعْتِقَادِهِ أَوْ عِبَادَتِهِ أَوْ سُلُوكِهِ وَجَدْتَ كُلَّ ذَلِكَ مُنَاقِضًا لِلْقُرْآنِ وَيُخَالِفُهُ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى.[4]

---

[1] انظر :إحياء علوم الدين للغزالي [1/ 64] في باب علماء السوء.

[2] (انظر» :الاعتصام «للشاطبي.([2/230]

[3] (أخرجه البخاري برقم [3470]، ومسلم برقم [2766] من حديث أبي سعيد الخدري).

[4] انظر :أخلاق حملة القرآن «للآجري [ص: 34].

أَضِفْ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِالْعُلَمَاءِ الْأَصْلَاءِ مَنْ كَانَ يَرْتَقِي أَعْوَادَ الْمِنْبَرِ مِنَ الْخُطَبَاءِ وَالْوُعَّاظِ وَالْقُصَّاصِ الَّذِينَ قَلَّ زَادُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَسَاءَ سَيْرُهُمْ فِي الْعَمَلِ؛ فَلَا تَسْمَعُ مِنْ خُطَبِهِمْ إِلَّا الْغَثَّ مِنَ الْقَوْلِ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْمُخْتَلَقَ مِنَ الْأَسَاطِيرِ وَالْمُبْتَدَعَ مِنَ الْقِصَصِ؛ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ الْمَعْصُومُ ﷺ بِأَنَّهُ يَكْثُرُ خُطَبَاؤُهُ وَيَقِلُّ فُقَهَاؤُهُ.

فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :وَسَيَأْتِي زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ. [1]

وَنَخْتِمُ كَلَامَنَا فِي مَنْ تَشَبَّهَ بِالْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِأُولَئِكَ الْمَعْدُودِينَ فِي فِئَةِ الْمُثَقَّفِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ وَالدَّارِسِينَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ خِلَالِ مَنَاهِجِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالْجَدَلِ وَالْأَسَالِيبِ النَّظَرِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ الْمَحْضَةِ؛ كَفِئَةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْمُسْتَغْرِبِينَ مِمَّنْ يُسَمَّوْنَ بِالْمُفَكِّرِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ؛ فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ حَاوَلُوا التَّشَبُّهَ بِالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الْمُحَقِّقِينَ الْعَامِلِينَ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! فَمَا يَشْتَبِهُ التِّبْرُ بِالتُّرْبِ، وَلَا الضِّيَاءُ بِالظَّلَامِ، وَلَا الْعُقْمُ بِالْإِنْجَابِ.

وَقَدْ أَصَابَ مَنْ قَالَ :وَلَوْ لَبِسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ ... لَقَالَ النَّاسُ يَا لَهُ مِنْ حِمَارٍ) [2]

فَافْقَهْ هَذَا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ يَا وَفَّقَكَ اللهُ، وَتَبَصَّرْ وَاحْذَرْ.

- بَيَانُ الحَقِّ وَكَشْفُ أَهْلِ التَّلْبِيسِ:

قَوْلُهُ :وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ هَذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.) .سورة البقرة، الآيات: 40-122. ومُحَصَّلُ الْمَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: إِخْبَارُ اللهِ ﷻ عَنْ أُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا مَنَّ بِهِ مِنْ نِعْمَةِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالِاصْطِفَاءِ، فَقَابَلُوا كُلَّ ذَلِكَ بِالْجُحُودِ وَالنُّكْرَانِ وَالْكُفْرَانِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ بَيَانِ الْحَقِّ

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير[190/ 3]»، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم.([3189]

[2] انظر» :شعب الإيمان «للبيهقي.([476/ 10]

وَنَشْرِ الْهُدَى وَتَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ بِالْكِتْمَانِ وَالتَّسَتُّرِ وَاللَّبْسِ وَالتَّمْوِيهِ؛ قَصْدَ ضَمَانِ مَصَالِحِهِمْ وَتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِمْ وَنَيْلِ مَآرِبِهِمْ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَنَاصِبِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَقَدْ أَوْرَدَ هَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.[1]

وَمُلَخَّصُ الْقَوْلِ وَزُبْدَةُ الْبَيَانِ أَنَّ الْمُصَنِّفَ سَاقَ هَذِهِ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ لِلاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى بَيَانِ تَمَيُّزِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ مِمَّنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَانْتَحَلَ سَمْتَهُمْ وَادَّعَى مَقَامَاتِهِمْ؛ وَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

1. **إِنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُعْتَدَّ بِقَوْلِهِمْ وَعَمَلِهِمْ هَمُّهُمُ الأَكْبَرُ وَشُغْلُهُمُ الشَّاغِلُ هُوَ نَشْرُ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَحَضُّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَتَرْغِيبِهِمْ فِيهِ بِالإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَتَعَلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَقْتَضِيهِ**. أَمَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَحَشَرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ فَإِنَّ هَمَّهُ تَحْصِيلُ مَنَافِعِهِ وَمَآرِبِهِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى مَنْصِبِهِ الدُّنْيَوِيِّ الزَّائِلِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِالتَّزْوِيرِ وَالتَّلْفِيقِ وَالتَّلْبِيسِ.[2]

2. **إِنَّ الْعُلَمَاءَ الْمَقْبُولِينَ الْمُزَكَّيْنَ يُظْهِرُونَ الْحَقَّ وَيَدُلُّونَ عَلَى الْهُدَى وَيَدْعُونَ النَّاسَ لِلأَخْذِ بِهِ وَالْتِزَامِهِ تَحْقِيقًا لِلْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ فِي الدَّارَيْنِ**. وَأَمَّا أَدْعِيَاءُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَلْبِسُونَ عَلَى النَّاسِ وَيُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ وَيَخْلِطُونَ لَهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُلْقُونَ إِلَيْهِمْ شَتَّى الشُّبَهَاتِ وَالْبِدَعِ وَالأُغْلُوطَاتِ؛ سَعْيًا لِتَحْقِيقِ مَنَافِعِهِمْ وَنَيْلِ مَكَاسِبِهِمْ وَالْحِفَاظِ عَلَى مَنَاصِبِهِمْ، وَذَلِكَ غَايَةُ قَصْدِهِمْ وَمُنْتَهَى أَمَانِيِّهِمْ.[3]

قَوْلُهُ: (وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ) : قَصَدَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ زِيَادَةَ إِيضَاحِ هَذَا الأَصْلِ الْمَذْكُورِ آنِفًا قَدْ جَاءَتْ بِهِ نُصُوصُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ تَضَمَّنَتِ الْبَيَانَ الشَّافِيَ الْكَافِيَ لَهُ مِنْ أَوْجُهٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ؛ حَتَّى غَدَا فَهْمُهُ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ سَهْلًا مَيَسَّرًا قَرِيبًا، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ عَنَاءً فِي إِدْرَاكِ مَضْمُونِهِ وَاسْتِيعَابِ مَعَانِيهِ.[4]

---

[1] انظر :تفسير القرآن العظيم «لابن كثير [1/ 244]، و**«تيسير الكريم الرحمن» ** للسعدي [ص: 51].

[2] انظر :إحياء علوم الدين «للغزالي [1/ 64] في باب علماء السوء.(

[3] انظر: الاعتصام «للشاطبي.([2/230]

[4] انظر :جامع بيان العلم وفضله «لابن عبد البر.([1/124]

قَوْلُهُ: (ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ)

وَذَلِكَ نَاتِجٌ عَنِ الِانْحِرَافَاتِ وَالضَّلَالَاتِ الَّتِي يَنْشُرُهَا هَؤُلَاءِ الْمُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُحَاوِلُونَ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ الْمُتَاحَةِ لَهُمْ -وَمَا أَكْثَرَهَا- إِقْنَاعَ النَّاسِ بِهَذِهِ الضَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الْحَقُّ وَغَيْرُهَا هُوَ الْبَاطِلُ!

فَيَا للهِ فَقَدِ انْقَلَبَتِ الْمَوَازِينُ، وَانْتَكَسَتِ الْمَفَاهِيمُ، وَاخْتَلَّتِ الْمَعَايِيرُ، وَصَارَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَ الْبِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ عَلَى أَنَّهَا حَقَائِقُ الدِّينِ وَمَبَادِئُهُ وَأَحْكَامُهُ وَمَطَالِبُهُ.

وَمَا حَصَلَ هَذَا الَّذِي حَصَلَ إِلَّا بِجُهُودِ أُولَئِكَ الدُّعَاةِ الْمُبْتَدِعَةِ الضَّالَّةِ الَّذِينَ زَيَّنُوا لِلنَّاسِ الْبَاطِلَ وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الْحَقِّ تَمْوِيهًا وَتَعْتِمَةً؛ قَصْدَ رَوَاجِهِ عِنْدَهُمْ وَقَبُولِهِمْ لَهُ. فَاسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّ الْبِدْعَةَ هِيَ السُّنَّةُ، وَالضَّلَالَةَ هِيَ الْهُدَى، وَالْمَعْصِيَةَ هِيَ الطَّاعَةُ، وَالشُّبْهَةَ هِيَ الْحَقِيقَةُ؛ وَهَكَذَا صَارَتِ الْغُرْبَةُ فِي الدِّينِ الْحَقِّ وَالْمَعْرِفَةُ فِي الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ. وَنَسِيَ هَؤُلَاءِ وَأَشْبَاهُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾. (سورة النحل، الآية: 25).[1]

قَوْلُهُ: (خِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ)

أَيْ أَحْسَنُ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالِ الْمُبْتَدِعَةِ هُوَ خَلِيطٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَدْ زَيَّنُوهُ وَبَهْرَجُوهُ وَأَمَرُّوهُ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ جُهَّالِ النَّاسِ وَضَعَفَةِ الْإِيمَانِ؛ فَانْطَلَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَبِلُوهُ عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ خَالِصٌ وَهُدًى بَيِّنٌ لَا شَائِبَةَ فِيهِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ زَخْرَفَةِ الْقَوْلِ فِيهِ لِكَيْ يَلْقَى رَوَاجًا وَقَبُولًا فَلَا يُخَالَفُ وَلَا يُرَدُّ.

وَاللَّبْسُ لُغَةً: الْخَلْطُ وَالْمَزْجُ.[2] وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَذَمَّ أَصْحَابَهُ وَتَوَعَّدَهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. سورة البقرة، الآية: 42.

كَمَا أَنَّ مِنْ وَسَائِلِ التَّلْبِيسِ الْمُعْتَمَدَةِ عِنْدَهُمْ إِيرَادَ الْأَلْفَاظِ الْمُجْمَلَةِ وَالْعِبَارَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي تَحْمِلُ أَوْجُهًا مُتَعَدِّدَةً مِنَ الْمَعَانِي؛ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَرَادَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ وَهُوَ يُرِيدُ الْمَعْنَى الْبَاطِلَ؛ قَصْدَ إِضْلَالِ

---

[1] وَانْظُرْ: **شرح السنة** للبربهاري.

[2] (انظر) **لسان العرب** لابن منظور [مادة: لبس].

النَّاسِ كَمَا يَفْعَلُ أُولَئِكَ الْمُبْطِلُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْجَدَلِ وَالْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ فِي بَابِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ قَصْدَ تَعْطِيلِهَا وَإِبْطَالِ حَقَائِقِهَا وَتَحْرِيفِ مَعَانِيهَا بِحُجَّةِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ! وَكَذَبُوا، لَوْ كَانَ ذَلِكَ قَصْدَهُمْ لَتَابَعُوا سَلَفَهُمُ الصَّالِحَ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ.[1]

قَوْلُهُ: (وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيهُ الْعَالِمُ):

أَيْ صَارَ مَنْ أَنْكَرَ الْعِلْمَ شَرْعِيَّ النَّافِعَ وَرَدَّهُ وَذَمَّ أَهْلَهُ وَعَادَاهُمْ وَسَعَى فِي الْحَيْلُولَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنَ النَّاسِ -مُسْتَعْمِلًا مُخْتَلِفَ الْوَسَائِلِ الشَّيْطَانِيَّةِ حَسَدًا وَبَغْيًا وَغَوَايَةً وَحِقْدًا وَابْتِدَاعًا فِي الدِّينِ وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَى وَانْصِيَاعًا لِشَهْوَةٍ وَطَلَبًا لِلْجَاهِ وَالْمَنْصِبِ-؛ فَصَارَ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ لَكَ يُنْعَتُ بِأَنَّهُ "الْعَالِمُ الْحَقُّ" الَّذِي يَجِبُ سَمَاعُهُ وَقَبُولُ دَعْوَتِهِ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ! بِحَيْثُ صَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَفِي النَّهْيِ عَنْ سَمَاعِ أَهْلِهِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِتْبَاعِهِمْ، بَلْ وَجُوبِ مُعَادَاتِهِمْ وَرَدِّ دَعْوَتِهِمْ.

وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي، وَالْغَرَابَةِ الَّتِي لَا تَنْقَضِي. وَنَقُولُ بِكُلِّ أَسَفٍ وَحُزْنٍ وَحَسْرَةٍ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالَ الْمُبْتَدِعَةَ نَفَقَتْ تِجَارَتُهُمْ وَرَاجَتْ بِضَاعَتُهُمْ وَطَارَ بَلَاؤُهُمْ كُلَّ مَطَارٍ؛ لَا سِيَّمَا مَعَ تَوَفُّرِ هَذِهِ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ السَّرِيعَةِ فِي النَّقْلِ وَالنَّشْرِ وَالْبَلَاغِ لِهَذِهِ الضَّلَالَاتِ وَالِافْتِرَاءَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ.[2]

7. الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَمْيِيزُهُمْ عَنْ أَدْعِيَاءِ الوَلَايَةِ

- **مَعَالِمُ الْوَلَايَةِ الْحَقَّةِ وَدَرَجَاتُهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**

قَوْلُهُ: بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ، وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ. قَدْ أَحْسَنَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ بِإِيرَادِ هَذَا الْأَصْلِ الْمُهِمِّ الْخَطِيرِ ضِمْنَ الْأُصُولِ السِّتَّةِ؛ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالَةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ حَيْثُ جَعَلُوهُ "تُكَأَةً" لِتَمْرِيرِ بِدَعِهِمْ وَانْحِرَافَاتِهِمْ

[1] (انظر: **الصواعق المرسلة** »لابن القيم[3/ 925]، و**«مجموع الفتاوى »** لابن تيمية.([12/104]

[2] (انظر: **إغاثة اللهفان** »لابن القيم.([2/154]

فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا غَيْرَهُمْ. وَقَدِ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -خَاصَّةً مِنْهُمُ الْجَهَلَةَ وَالسُّذَّجَ وَالْبُسَطَاءَ وَالْعَوَامَّ- فِي مَسْأَلَةِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.[1]

وَالْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فَرَّقَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَهُوَ لَيْسَ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ فَرَّقَ هُنَا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ حَقًّا بِذِكْرِ صِفَاتِهِمْ وَنَعْتِ أَحْوَالِهِمْ، وَبَيْنَ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْهُمْ وَهُوَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُمْ. وَخَيْرُ مَنْ جَلَّى هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْمُشْتَبِهَةَ وَبَيَّنَ الْحَقَّ فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ الْمَاتِعِ النَّافِعِ **الْفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ**.[2]

وَ"أَوْلِيَاءُ" جَمْعٌ مُفْرَدُهُ "الْوَلِيُّ"، وَالْوَلِيُّ ضِدُّ الْعَدُوِّ، وَهُوَ مِنَ الْوَلَايَةِ بِفَتْحِ الوَاوِ وَمَعْنَاهُ الْقُرْبُ وَالدُّنُوُّ؛ وَالْوَلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ، وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ الْمَحَبَّةُ وَالْقُرْبُ، وَأَصْلُ الْعَدَاوَةِ الْبُعْدُ وَالْبُغْضُ. وَأَضَافَ الْأَوْلِيَاءَ إِلَى اللهِ ﷻ لِيَخُصَّهُمْ بِوَلَايَتِهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ وَقُرْبِهِ. فَإِنْ سَأَلْتَ مَا مَعْنَى أَوْلِيَاءِ اللهِ؟ أَجَبْتُ بِأَنَّ تَفْسِيرَهَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَكَفَى بِهِ تَفْسِيراً؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً؛ قَالَ ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. (سورة يونس، الآيات: 62-63).

وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْخُلَّصُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، كَأَنَّهُمْ قَرُبُوا مِنَ اللهِ ﷻ بِإِتْيَانِ طَاعَتِهِ كَمَا أَمَرَ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ كَمَا نَهَى. فَإِنَّ وَلِيَّ اللهِ ﷻ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الَّذِي يُوَالِي اللهَ ﷻ بِمُوَافَقَةِ مَا يُحِبُّهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.[3]

وَقَدْ عَرَّفَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ بِقَوْلِهِ: **الْعَالِمُ بِاللهِ، الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ، الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ**[4] وَأَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللهِ هُمْ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ، وَأَفْضَلُهُمْ جَمِيعاً نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ. وَقَدْ قَسَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَوْلِيَاءَ اللهِ إِلَى طَبَقَتَيْنِ:

---

[1] (انظر» :الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان «لابن تيمية [ص: 7].(

[2] انظر» :**الفرقان** «لابن تيمية [ص: 9].(

[3] (انظر» :**جامع العلوم والحكم** «لابن رجب.([2/335]

[4]) . « انظر» :**فتح الباري** «لابن حجر.([11/342]

1. **السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ.**

2. **أَصْحَابُ الْيَمِينِ الْمُقْتَصِدُونَ**[1].

كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ).[2]

وَقَدْ قَسَّمَ الْحَدِيثُ أَوْلِيَاءَ اللهِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

1. **الْأَوَّلُ**: هُمُ الْأَبْرَارُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَى اللهِ بِالْفَرَائِضِ؛ يَفْعَلُونَ الْوَاجِبَاتِ وَيَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا يَأْتُونَ الْمَنْدُوبَاتِ وَلَا يَتْرُكُونَ فُضُولَ الْمُبَاحَاتِ.

2. **الثَّانِي**: هُمُ السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ، وَهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ؛ تَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِفِعْلِ النَّوَافِلِ بَعْدَ إِتْيَانِ الْفَرَائِضِ، فَأَدَّوُا الْوَاجِبَاتِ وَزَادُوا عَلَيْهَا الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَزَادُوا عَلَى ذَلِكَ فَاجْتَنَبُوا الْمَكْرُوهَاتِ؛ لِذَلِكَ سَابَقُوا غَيْرَهُمْ فِي الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَحَظُوا بِتَمَامِ مَحَبَّتِهِ وَإِكْرَامِهِ وَإِحْسَانِهِ.[3]

أَمَّا قَوْلُهُ: وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ... إِلَخْ:

فَإِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ اللهُ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ الْمُطِيعِينَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْمُقَرَّبِينَ بِذِكْرِ مُلَازَمَتِهِمْ لِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِهِمْ لِمَعْصِيَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي إِرْضَائِهِ رَجَاءَ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَخَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ، وَبَيْنَ أَدْعِيَاءِ الْوَلَايَةِ لله ﷻ الْكَاذِبِينَ الْمُنَافِقِينَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ دِينِهِ وَالتَّارِكِينَ لِطَاعَتِهِ وَالْمُقْتَرِفِينَ لِمَعْصِيَتِهِ وَالْمُلَبِّسِينَ عَلَى النَّاسِ بِإِدَّعَائِهِمْ

---

[1] انظر: **الفرقان** لابن تيمية.

[2] أخرجه البخاري برقم.[6502]

[3] انظر: **جامع العلوم والحكم** لابن رجب.

الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله. فَصَارَ بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ الْفَارِقُ وَاضِحاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَاءِ الله الصَّادِقِينَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِوَلَايَتِهِ، وَبَيْنَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الْكَاذِبِينَ الْمَحْرُومِينَ مِنْ وَلَايَتِهِ تَعَالَى.[1]

- **آيَاتُ الِامْتِحَانِ وَأَوْصَافُ الْأَوْلِيَاءِ:**

قَوْلُهُ): وَيَكْفِي فِي هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾). (سورة آل عمران، الآية: 31.)

وَقَدْ أَطْلَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ "آيَةَ الْمِحْنَةِ"؛ بِمَعْنَى آيَةِ الِامْتِحَانِ وَالِابْتِلَاءِ، حَيْثُ ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ الله فَابْتَلَاهُمُ اللهُ بِمَحَبَّةِ نَبِيِّهِ؛ فَمَنْ كَانَ صَادِقاً فِي مَحَبَّتِهِ لله ﷻ لَزِمَهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَمَحَبَّتُهُ لله ﷻ كَاذِبَةٌ وَهِيَ مُجَرَّدُ دَعْوَى لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ.

وَوَجْهُ إِيرَادِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ أَوْلِيَاءِ الله ﷻ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالِاقْتِدَاءَ بِسُنَّتِهِ وَعَدَمَ مُخَالَفَتِهِ؛ فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ وَلِيًّا لله ﷻ حَقًّا إِلَّا إِذَا آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ بَاطِناً وَظَاهِراً قَوْلاً وَحَالاً. وَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله ﷻ بِلِسَانِهِ وَأَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ﷻ وَلَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَهُ؛ فَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَداً مِنْ أَوْلِيَاءِ الله ﷻ وَلَوْ شَهِدَتْ لَهُ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِذَلِكَ.[2]

قَوْلُهُ): وَآيَةُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾) سورة المائدة، الآية: 54.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ قَدْ تَضَمَّنَتْ أَوْصَافاً أَرْبَعَةً لِأَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى:

1. **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**: أَيْ مُتَوَاضِعِينَ لَهُمْ، يَرْفُقُونَ بِهِمْ لَا يُعَنِّفُونَهُمْ، وَيَلِينُونَ لَهُمْ فَلَا يُؤْذُونَهُمْ وَلَا يُحَارِبُونَهُمْ، وَلَا يَتَرَفَّعُونَ عَنْهُمْ، بَلْ يُحِبُّونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ.

[1] (انظر» :**الفرقان** «لابن تيمية [ص: 110].)

[2] (انظر» :**تفسير القرآن العظيم** «لابن كثير.([2/32])

2. **أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** :أَيْ أَقْوِيَاءَ عَلَيْهِمْ بِإِيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، غَالِبُونَ لَهُمْ، مُتَغَلِّبُونَ عَلَيْهِمْ، مُتَمَكِّنُونَ مِنْهُمْ وَمِنْ رِقَابِهِمْ وَبَأْسُهُمْ عَلَيْهِمْ.

3. **إِنَّهُمْ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ** :لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ وَنُصْرَةِ دِينِ اللهِ وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَنُصْرَةِ أَهْلِهِ وَدَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ. وَقَدْ يَكُونُ الْجِهَادُ تَارَةً بِالْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَتَارَةً أُخْرَى بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَقَدْ يَكُونُ أَحْيَاناً بِالْمَالِ وَالْوَقْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

4. **أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ** :لَا يَرُدُّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُمْ صَادٌّ، وَلَا تَضُرُّهُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَلَا عِتَابُ عَاتِبٍ؛ بَلْ يَمْضُونَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِقَامَةً لِلدِّينِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ.

- **صِفَاتُ الْوَلَايَةِ فِي سُورَةِ يُونُسَ وَرَدُّ الْأَوْهَامِ:**

قَوْلُهُ) :وَآيَةٌ فِي سُورَةِ يُونُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾) .(سورة يونس، الآيات: 62-63.

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بَيَّنَتْ بِوُضُوحٍ مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ ﷻ حَقًّا، وَمَا هِيَ أَوْصَافُهُمْ وَكَيْفَ يُعْرَفُونَ وَبِمَا يُقَاسُونَ؛ فَذَكَرَتْ صِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ لِكُلِّ مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا للهِ ﷻ فَهُمَا :**الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى** .فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ للهِ وَلِيٌّ، وَحَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ وَلَايَةِ اللهِ ﷻ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِ مِنْ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ.

وَقَدْ سَاقَ الْمُصَنِّفُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِبَيَانِ صِفَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ ﷻ تَمْيِيزاً لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَدْعِيَاءِ الْوَلَايَةِ وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانُهُ؛ وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَلْتَبِسَ الْأَمْرُ عَلَى طَالِبِ الْهُدَى وَبَاغِي الْحَقِّ فِي مَسْأَلَةِ الْوَلَايَةِ.

وَقَدْ غَلِطَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ حِينَ اشْتَرَطَ فِي ثُبُوتِ الْوَلَايَةِ للهِ ﷻ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَمْ تَقُمْ بِهَا حُجَّةٌ؛ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نِتَاجِ الْأَفْكَارِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَهْوَاءِ الْبَاطِلَةِ؛ وَمِنْهَا:

أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ مَعْصُوماً مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَأِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ مُطْلَقاً، وَأَنْ تَظْهَرَ عَلَى يَدَيْهِ كَرَامَاتٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ، وَأَنْ يَتَمَيَّزَ عَنْ سَائِرِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ فِي مَظْهَرِهِ وَشَكْلِهِ وَنَمَطِ حَيَاتِهِ، وَأَنْ تَكُونَ الْوَلَايَةُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءِ مُتَوَارَثَةً بِوَصِيَّةِ الْأَجْدَادِ لِلْآبَاءِ وَالْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ وَالْأَبْنَاءِ لِلْأَحْفَادِ وَهَكَذَا.

- **انْقِلَابُ الْمَفَاهِيمِ وَضَلَالُ الْمُتَأَخِّرِينَ:**

قَوْلُهُ :ثُمَّ صَارَ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ.

مَعْنَى كَلَامِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَدْعِيَاءَ الْعِلْمِ وَمُنْتَحِلِي سَمْتِ حُفَّاظِ الشَّرْعِ وَهُدَاةِ الْخَلْقِ [يَزْعُمُونَ] بِأَنَّ الْوَلِيَّ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي لَمْ يَعُدْ مُحْتَاجاً إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَالْإِذْعَانِ لَهُم وبِمَا جَاءُوا بِهِ؛ بِحُجَّةِ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ بِحَيْثُ سَقَطَتْ عَنْهُ تَكَالِيفُ الشَّرْعِ، فَأَصْبَحَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ فَالْأَمْرُ عِنْدَهُ سَوَاءٌ! أَمَّا مَنْ اتَّبَعَ الرُّسُلَ وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِمْ وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ وَلَزِمَ تَقْوَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَمِلَ عَلَى تَقْوِيَةِ إِيمَانِهِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّهُ بِزَعْمِهِمْ لَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَشِعَارُ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ الشَّيَاطِينِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِغَيْرِهِمْ :**أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ مَيِّتٌ عَنْ مَيِّتٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَنَأْخُذُ دِينَنَا عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ؛ أَيْ أَنَّهُمْ يُوحَى إِلَيْهِمْ! كَذَبُوا وَأَفَكُوا، فَلَا وَحْيَ يَنْزِلُ إِلَّا عَلَى نَبِيٍّ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِنَّ الْوَلِيَّ فِي عُرْفِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ مَنِ اسْتَغْنَى فِي هِدَايَتِهِ وَعِلْمِهِ وَإِيمَانِهِ عَنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى خَوَاطِرِهِ وَحَدِيثِ قَلْبِهِ وَوَسَاوِسِهِ وَإِيحَاءَاتِ شَيْطَانِهِ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ :**حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي** !!.وَالْوَلِيُّ عِنْدَهُمْ مَنْ بُنِيَتْ عَلَى قَبْرِهِ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ ثُمَّ زُخْرِفَتْ وَأُرْسِلَتِ السَّتَائِرُ عَلَى ضَرِيحِهِ وَسُيِّجَ بِالْحَدِيدِ وَجُعِلَ لِقَبْرِهِ سَدَنَةٌ تَخْدُمُهُ. وَالْوَلِيُّ عِنْدَهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْمُرَقَّعَ وَيَكْشِفُ عَوْرَتَهُ وَيَعِيشُ بَيْنَ الْمَزَابِلِ وَالْقُمَامَاتِ وَالْأَقْذَارِ وَيُبَاشِرُ النَّجَاسَاتِ وَالْخَبَائِثَ وَيَأْوِي إِلَى الْحُشُوشِ وَالْخَرِبِ وَالْمَغَارَاتِ، وَقَدْ يَأْكُلُ الْحَيَّةَ وَالْعَقَارِبَ

وَالْجِعْلَانَ وَيَنَامُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا يَتَطَهَّرُ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَلَا يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَاتِ وَقَدْ يَفْعَلُ قَبَائِحَ مِنَ الذُّنُوبِ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ يُشْهَدُ لَهُ بِالْوِلَايَةِ! فَمَا أَعْجَبَ هَذَا الْأَمْرَ كَيْفَ تَغَيَّرَتِ الْحَقَائِقُ وَانْتَكَسَتِ الْمَفَاهِيمُ وَانْقَلَبَتِ الْمَوَازِينُ؛ فَلَا رَحْمَةَ تُرْجَى إِلَّا مِنَ اللهِ ﷻ.

- **طَلَبُ الْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ:**

قَوْلُهُ :يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالْمُصَنِّفُ حَقٌّ لَهُ وَلَنَا مَعَهُ أَنْ نَسْأَلَ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِمَّا نَسْمَعُ وَنَرَى مِمَّا ظَهَرَ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ وَالْبِدَعِ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي تُخِلُّ بِالدِّينِ وَتُضِلُّ الْمُسْلِمِينَ وَتُرْضِي الشَّيَاطِينَ وَتُغْضِبُ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

فَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ :**اسْأَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْراً مِنَ الْعَافِيَةِ.**[1]

8. الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

قَوْلُهُ :رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ، وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا.....

خَتَمَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أُصُولَهُ بِهَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ الْمُتَضَمِّنِ لِرَدِّ الشُّبْهَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا الشَّيْطَانُ إِلَى أَعْوَانِهِ؛ وَهِيَ عَدَمُ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَلَا التَّدَبُّرُ فِيهِمَا بِحُجَّةِ أَنَّهُمَا لَا يَتَأَتَّى فَهْمُهُمَا إِلَّا لِمَنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مُطْلَقًا، أَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُحَاوَلَةُ فَهْمِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّأَمُّلُ فِي مَعَانِيهِمَا وَمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ عَقَائِدَ وَأَحْكَامٍ وَآدَابٍ.

[1] رواه الترمذي برقم [3558]، وصححه الألباني.

وَقَدْ أَلْقَى هَؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ هَذِهِ الشُّبْهَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ -لَا سِيَّمَا أَتْبَاعِهِمْ- وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَيْهِمْ لِفَهْمِ مَا وَرَدَ مِنْ هُدًى وَعِلْمٍ وَخَيْرٍ وَصَلَاحٍ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَدْ وَضَعُوا لِلْمُجْتَهِدِ الْمَقْصُودِ فِي كَلَامِهِمْ شُرُوطًا قَدْ لَا تَكُونُ مَوْجُودَةً فِي كُمَّلِ الرِّجَالِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وَبِذَلِكَ أُغْلِقَ بَابُ الِاجْتِهَادِ عَلَى النَّاسِ وَسَدُّوا عَلَيْهِمْ سُبُلَ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

وَقَصْدُهُمْ أَنْ يَنْصَرِفَ النَّاسُ إِلَى الْأَخْذِ بِآرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَيُقَلِّدُوهُمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمُ الَّتِي تُفْضِي بِهِمْ إِلَى وُقُوعِهِمْ فِي الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ وَالْعَمَى؛ حَتَّى وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى اعْتِبَارِ مَنْ يَأْخُذُ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ عِلْمٍ وَهُدًى إِمَّا أَنْ يَكُونَ زِنْدِيقًا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَجْنُونًا!

مَعَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ بَيَّنَ شَرْعًا وَقَدَرًا وَخَلْقًا وَأَمْرًا الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَرَدَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ الْبَاطِلَةَ الْمَلْعُونَةَ بِوُجُوهٍ شَتَّى حَتَّى غَدَتْ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ أَوْرَدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ (يس) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يُعْرِضُ عَنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ضَرَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غِشْوَةً عَلَى أَبْصَارِهِمْ وَطَمَسَ عَلَى بَصَائِرِهِمْ؛ فَعَمُوا وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْهُدَى فَشَرَدُوا وَتَاهُوا ثُمَّ تَرَدَّوْا وَهَلَكُوا.

عند الآيات: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

ثُمَّ خَتَمَ الْمُصَنِّفُ رِسَالَتَهُ الْمُنِيفَةَ النَّافِعَةَ بِحَمْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ لَهُ لِانْتِقَاءِ هَذِهِ السِّتَّةِ الْأُصُولِ وَتَعْرِيفِ النَّاسِ بِهَا وَبَيَانِ حَقِّهَا مِنْ بَاطِلِهَا؛ إِرْشَادًا لِلْأُمَّةِ وَنُصْحًا لَهَا. ثُمَّ صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللهُ بِزَوَالِهَا فَتَكُونَ الْقِيَامَةُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

9. خَاتِمَةُ الرِّسَالَةِ:

وَمُلَخَّصُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ الْغَرَّاءِ، أَنَّهَا حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَمَنْ جَاوَزَهَا فَقَدْ جَاوَزَ مَرَافِئَ الْأَمْنِ إِلَى لُجَجِ التِّيهِ وَالظُّنُونِ. فَيَا طَالِبَ النَّجَاةِ، أَمْطِ عَنْ بَصِيرَتِكَ غِشَاوَةَ التَّقْلِيدِ، وَارْجِعْ إِلَى نُورِ السَّلَفِ السَّدِيدِ؛ فَمَا أُتِيَ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَاضِ عَنْ زُلَالِ الْوَحْيِ، وَالِاشْتِغَالِ بِبُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ مِنْ آرَاءِ الرِّجَالِ.

فَاعْلَمْ أَيَّدَكَ اللهُ بِرُوحٍ مِنْهُ: أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ السِّتَّةَ الَّتِي جَلَّاهَا الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- وَبَيَّنَ مَكْنُونَهَا الشَّيْخُ الشَّارِحُ -سَدَّدَهُ اللهُ-، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ تُسْطَرُ، أَوْ عِبَارَاتٍ تُحْبَرُ؛ بَلْ هِيَ **"مَدَارُ السَّعَادَةِ"** وَقُطْبُ رَحَى النَّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ.

فَقَدِ انْتَظَمَ فِيهَا حَقُّ اللهِ فِي **التَّوْحِيدِ** الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ، وَبِهِ يَقَعُ الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ السَّعِيرِ. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِـ**الِاجْتِمَاعِ** لِتَكُونَ الْأُمَّةُ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، مَحْمِيَّةً بِسِيَاجِ **السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ** فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَلَا دِينَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَامَةٍ، وَلَا إِمَامَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ.

ثُمَّ كَمُلَ الْبِنَاءُ بِتَمْيِيزِ **الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ** عَنْ مَنَاحِلِ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيرِ مَقَامِ **الْوَلَايَةِ** لله عَنْ خُرَافَاتِ الْغَالِينَ وَتَلْبِيسِ الْمُفْسِدِينَ. وَخُتِمَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدَحْضِ أَعْظَمِ شُبْهَةٍ صَدَّتِ النَّاسَ عَنِ الْوَحْيِ؛ وَهِيَ زَعْمُهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ بَعِيدُ الْمَنَالِ، صَعْبُ الْفَهْمِ عَلَى الرِّجَالِ! فَأَيُّ عَبَثٍ بِالدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ حَجْبِ الْخَلْقِ عَنْ كَلَامِ خَالِقِهِمْ بِعِلَلٍ وَاهِيَةٍ وَاعْتِرَاضَاتٍ مَرْدُودَةٍ بَاطِلَةٍ؟!

فَيَا لله الْعَجَبُ! كَيْفَ صَارَتْ هَذِهِ الْأُصُولُ -مَعَ جَلَائِهَا وَوُضُوحِهَا- مُبْهَمَةً غَرِيبَةً بَيْنَ مَنْ يَدَّعِي الْفَهْمَ؟ وَهُوَ عَنْهُ بَعِيدٌ، وَكَيْفَ لَبَسَ الشَّيْطَانُ عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى صَارَ "الْإِخْلَاصُ" تَنَقُّصاً، وَ"الْفِتْنَةُ" فِقْهاً، وَ"الضَّلَالَةُ" عِلْماً؟! والوِلَايَةُ تَرْكًا لِاتِّبَاعِ هَدْيِ النُّبُوَّةِ.

فَعَلَيْكَ -يَا طَالِبَ الرَّشَادِ- بِالِاعْتِصَامِ بِمَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَاشْدُدْ عَلَيْهَا يَدَيْكَ؛ فَهِيَ مَحْضُ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي تَرَكَنَا عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

نَسْأَلُ اللهَّ الْكَرِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَجْعَلَ مَا رَقَمْنَاهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ حُجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَأَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي حَالِنَا وَمَآلِنَا. اللَّهُمَّ اجْزِ **الشَّيْخَ الشَّارِحَ أَبَا قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرَ شَابِّي التَّبَسِّيَّ** خَيْرَ الجَزَاءِ، وَبَارِكْ فِي كُلِّ مَنْ سَعَى فِي خَطِّهَا وَتَنْسِيقِهَا، وَاجْعَلْهَا رَوْضاً لِطُلَّابِ العِلْمِ مِنْ إِخْوَةِ **"طَلَائِعِ الخَيْرِ"** و**"مَنَاهِلِ الخَيْرِ"** وَعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُ اللهَّ وَسَلَامُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ، وَإِمَامِ رُسُلِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الموقع الرسمي للشيخ:
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِّي
SUBSCRIBE
LIKE
SHARE

فهرس الكتاب

1. مُقَدِّمَةُ الأَخِ الْمُعْتَنِي بِالرِسَالَةِ: 1
2. مُقَدِمَةُ الشَارِحِ: 4
- شَرْحُ الْبَسْمَلَةِ: 4
- تَعْرِيفُ الْأُصُولِ: 6
- شَرْحُ المَلِكِ وَالغَلَّابِ: 6
- تَعْرِيفُ الْأَصْلِ فِي الاِصْطِلَاحِ: 7
- بَيَانُ وُضُوحِ هَذِهِ الْأُصُولِ لِلْعَوَامِّ: 8
- تَنْبِيهٌ عَلَى اصْطِلَاحِ الرَّافِضَةِ فِي لَفْظِ العَوَامِّ: 10
- ضَلَالُ الْأَذْكِيَاءِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ: 10
- سَبَبُ تَعَجُبِ الْمُصَنِفِ وَاسْتِغْرَابِهِ: 11
- تَعْرِيفُ الآيَاتِ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاحِ: 13
3. الْأَصْلُ الْأَوَّلُ – الْإِخْلَاصُ وَبَيَانُ الشِّرْكِ 14
- أَوَّلاً: حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ: 14
- شُمُولِيَّتُهُ: 15
- تَوْكِيدُ التَّنْزِيهِ وَرَدُّ ضَلَالِ القُبُورِيِّينَ: 15
- ثَانِيًا: بَيَانُ ضِدِّهِ (الشِّرْكُ بِاللهِ) 16
- خُلَاصَةُ القَوْلِ فِي خُطُورَةِ الشِّرْكِ وَأَنْوَاعِهِ: 17
- بَيَانُ الضِّدِّ وَتَوْثِيقُ النُّونِيَّةِ: 17
- وُضُوحُ التَّوْحِيدِ فِي الْقُرْآنِ: 18
- يُسْرُ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَوُضُوحُهُ لِلْعَامَّةِ: 20
- غُرْبَةُ الدِّينِ وَعِلَلُ الانْحِرَافِ فِي الْأُمَّةِ: 21
- مَكَايِدُ الشَّيْطَانِ: تَصْوِيرُ الْإِخْلَاصِ بِصُورَةِ "تَنَقُّصِ" الصَّالِحِينَ: 21
- قَاعِدَةٌ سَلَفِيَّةٌ: 22
- خُلَاصَةُ الأَصْلِ الأَوَّلِ: 23
4. الأَصْلُ الثَّانِي: الِاجْتِمَاعُ وَالِاعْتِصَامُ 24
- بَرَاهِينُ الْوَحْيَيْنِ عَلَى وُجُوبِ الِاجْتِمَاعِ وَمُقْتَضَيَاتِ الِانْقِيَادِ لِشَرْعِ اللهِ: 24
- مَفَاسِدُ التَّفَرُّقِ وَمَنْهَجُ الِاجْتِمَاعِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: 25

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

- مِيزَانُ الِاخْتِلَافِ الْبَشَرِيِّ وَحَقِيقَةُ الِافْتِرَاقِ الْمَذْمُومِ: 26
- بَيَانُ السُّنَّةِ وَانْقِلَابِ الْمَوَازِينِ: 26
- شَوَاهِدُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى لُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَخَطَرِ التَّفَرُّقِ: 27
- انْتِكَاسُ الْمَوَازِينِ: حِينَ صَارَ الِاعْتِصَامُ زَنْدَقَةً وَالِافْتِرَاقُ عِلْمًا: 28

5. الأَصْلُ الثَّالِثُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوَلِيِّ الأَمْرِ: 29

- السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ: أَصْلُ الِاجْتِمَاعِ وَقَيْدُ الْمَعْرُوفِ: 29
- وُجُوبُ الطَّاعَةِ شَرْعاً وَقَدَراً: عُمُومُ الْمَبْدَأِ وَعِبْرَةُ التَّارِيخِ: 31
- غُرْبَةُ أَصْلِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ: بَيْنَ تَلْبِيسِ الْأَدْعِيَاءِ وَرُسُوخِ الْأَتْقِيَاءِ: 32

6. الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ 35

- مَعَالِمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَصِفَاتُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ: 35
- مِعْيَارُ الْفِقْهِ وَكَشْفُ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ: بَيْنَ حَقِيقَةِ الرُّسُوخِ وَمَظَاهِرِ التَّلْبِيسِ: 36
- بَيَانُ الحَقِّ وَكَشْفُ أَهْلِ التَّلْبِيسِ: 38

7. الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَمْيِيزُهُمْ عَنْ أَدْعِيَاءِ الوَلَايَةِ 41

- مَعَالِمُ الْوَلَايَةِ الْحَقَّةِ وَدَرَجَاتُهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ 41
- آيَاتُ الِامْتِحَانِ وَأَوْصَافُ الْأَوْلِيَاءِ: 44
- صِفَاتُ الْوَلَايَةِ فِي سُورَةِ يُونُسَ وَرَدُّ الْأَوْهَامِ: 45
- انْقِلَابُ الْمَفَاهِيمِ وَضَلَالُ الْمُتَأَخِّرِينَ: 46
- طَلَبُ الْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ: 47

8. الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ 47

9. خَاتِمَةُ الرِّسَالَةِ: 49

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي